تمام المنة
شرح
كتاب السنة

لفضيلة الشيخ/ أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

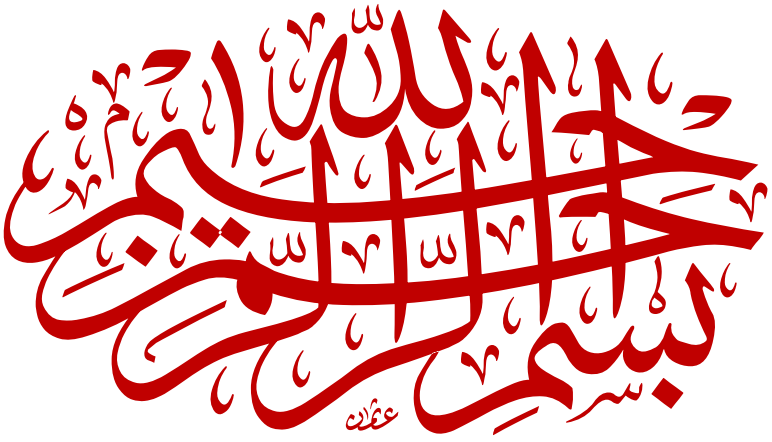
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فقد يسر الله سبحانه وتعالى شرح كتاب **(سنن أبي داوود)** وأسميته **(هبه الودود شرح كتاب سنن أبي داود)**، ثم بدا لي أن أفرد كتاب السنة منه؛ لأهمية ذلك ورجاء نفع من قرأه، والرد على أهل البدع المخالفين، وأسميته: **(تمام المنة بشرح كتاب السنة)**، والله أرجو أن ينفع بالشرح كما نفع بأصله، والحمد لله رب العالمين.

عبد الحميد بن يحيى الزعكري

ضحى الجمعة (٢٢)، من ذي الحجة (١٤٤٥)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابِ السُّنَّةِ

افتتح الكتاب بالبسملة كعادة المصنفين والمؤلفين اقتداء بكتاب الله ﷻ وتأسيا برسول الله ﷺ.

والباء في البسملة للاستعانة، والاسم مشتق من السمو وهو العلو.

(والله) لفظ الجلالة علم على الذات العلية، وهو أعرف المعارف، وهو الاسم الأعظم على الصحيح.

(الرحمن) على وزن فعلان من أسماء المبالغة، متضمن لصفة الرحمة العامة واسم الله واسم الرحمن من الأسماء المختصة به ﷻ.

(الرحيم) من الأسماء الحسنى المتضمن للرحمة الواصلة، قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣]، ويقدر الفعل متأخرا، بسم الله الرحمن الرحيم أكتب أو أقرأ أو غير ذلك من التقديرات الذي يذكرها أهل العلم.

(كتاب): من الكَتْبِ، وهو الجمع، ومنه كتيبة الخيل.

و(السنة): هي الطريقة في الخير والشر، ولكنها عند الإطلاق يراد بها طريقة النبي ﷺ القولية والفعلية والاعتقادية، والسنة في عرف العلماء تنقسم إلى قسمين: في باب الفقه السنة بمعنى المستحب، وفي باب العقيدة السنة بمعنى الواجب والطريقة المسلوكة التي نقلت عن رسول الله ﷺ، وسلكها السلف الكرام.

وكتاب السنة قد يسميه بعضهم بكتاب الشريعة، وبعضهم بكتاب العقيدة، بمعنى أنه يشمل ما يتعلق بالاعتقاد والفِرَق، ولزوم هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، وقد صنف في هذا الباب مجموعة من العلماء كتبا مستقلة، مثل (السنة) لابن أبي عاصم، و(السنة) لعبد الله بن أحمد، و(السنة) للخلال، و(السنة) للمروزي، ونحو ذلك من الكتب، وفي الباب (الشريعة) للآجري، و(اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة) للالكائي، و(اعتقاد السلف أصحاب الحديث) للصابوني، و(الإبانة) لابن بطة، و(الحجة) للأصفهاني، وغير ذلك من الكتب.

والعناية بهذا الباب عناية بطريقة السلف الكرام والأئمة الإعلام، فإن باب المعاملات وباب العبادات قد تشترك فيه كثير من الفرق، لكن باب الإيمان والعقيدة والسنة والطريقة يخالف أهل البدع فيه أهل السنة، إما جملة أو في بعض ما كان منها.

وستجد أنهم يقولون: من السنة حب الصحابة رضوان الله عليهم، والترضي عليهم وعدم ذكر مساويهم، ومن السنة اعتقاد أن الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، ومن السنة طاعة أولياء الأمور في طاعة الله عز وجل، وعدم الخروج عليهم والمنابذة لهم، ومن السنة غير أهل البدع، والنهي والنأي عنهم، ومن السنة ملازمة أهل السنة ومجالستهم، إلى غير ذلك مما يذكره أهل العلم.

قال رحمه الله:

باب شرح السنة

قد ألف البربهاري رحمه الله كتابا بهذا العنوان (شرح السنة) للبربهاري، شرحناه بحمد الله في كتابنا: (فتح الباري على شرح السنة للربهاري)، وذكر فيه جملا مما يتعلق بعقائد السلف أصحاب الحديث.

والمراد بشرح السنة: بيان السنة، وستجد أن هذا الحديث يبين أن أهل الإسلام سيفترقون على ثلاثة وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون منها ضالة، وفرقة واحدة على طريقة السلف أهل الحديث.

قال رحمه الله:

٤٥٩٦ - حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» (١).

بهذا اللفظ لا إشكال فيه، حتى بعض أهل البدع ربما لا يخالفون في ثبوته، وإنما المخالفة لدى بعضهم فيما يأتي من الحديث الذي يليه عن معاوية بن أبي سفيان: «**كلها في النار**»، وهذه الطائفة تسمى عند أهل الحديث بالطائفة المنصورة الفرقة الناجية، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل السنة، أسماؤهم من أوصافهم.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٨٣١)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩٩١)، وأحمد حديث رقم: (٨٣٩٦).

وقد قال النبي ﷺ في شأن هذه الأمة: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن القوم إلا هم**»، يستدل بالحديث على أن من هذه الأمة من سيوافق اليهود والنصارى في الفُرقة وفي كثير من العقائد الزائفة المخالفة لمنهج السلف.

قوله: (افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) الشك من الراوي وإلا افتراقهم كان على واحد وسبعين فرقة، وبعد مبعث النبي ﷺ صارت كلها فرق ضلال وانحراف وكفر.

(وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) الشك من الراوي، وإلا قد افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار بعد تغييرهم وتبديلهم، إذ أنهم يعتقدون أن عيسى هو الله أو ابن الله، ولا نعلم أحدا منهم على خلاف ذلك، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة، زد على ذلك أن كفرهم بمحمد صل الله عليه وسلم كفر بعيسى عليه السلام.

(وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، وهذه أصول الفرق، وقد جاء عن يوسف بن أسباط: أصول البدع أربعة: الجهمية، والخوارج، والمرجئة، والرافضة، أخرجه الآجري وغيره.

اثنتان وسبعون فرقة من هذه الفرق على ضلالة، ويتفاوتون في ضلالتهم بين مستقل ومستكثر، وواحدة هي السالمة من الضلالة، هم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وقال: «**نزاع من القبائل يصلحون إذا**

فسد الناس»، وللسلامة من البدع سيأتي: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم أحدثات الأمور**».

وقد ألفها أبو محمد اليمني رحمه الله كتابا سماه: (عقائد الثلاثة والسبعين فرقة) تكلم فيه عن عقائد أهل البدع المخالفة، وذكر فيه جملا من عقيدة أهل السنة.

قال الشارع رحمه الله: قال شيخنا: ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابا قال فيه: قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضا بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئا فشيئا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية، انتهى باختصار.

وحين نقول: كلها في النار إلا واحدة أي: مستحقون للنار، وقد يعفو الله ﷻ عمن شاء من عباده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٦]، وهذه الفرق المذكورة في هذا الحديث هي من أمة الإجابة لا أمة الدعوة، فالرافضة لا يدخلون في هذه

الفرق، والجهمية والباطنية، وعباد القبور من الصوفية، ومن إليهم ممن مرق من الدين، وصار من المنافقين المناوئين المخالفين لدين رب العالمين، فيتنبه لهذا.

قال رحمه الله:

٤٥٩٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ، (ح)، وَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ حَدَّثَنِي صَفْوَانُ نَحْوَهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمْرٌو فِي حَدِيثَيْهِمَا: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي [من] أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ - وَقَالَ عَمْرٌو: - الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ» (١).

(معاوية بن أبي سفيان) يذكرونه بخال المؤمنين؛ تكبيتا للروافض المارقين.

والحديث يشهد له ما قبله، ويشهد له كذلك حديث عوف بن مالك، وهو مصحح في (الصحيحة) للشيخ الألباني، ولا أعلم أحدا من أهل العلم طعن فيه ورده إلا ما كان من الإمام الشوكاني رحمه الله، وهكذا محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله حيث

(١) أخرجه ابن ماجه بنحوه حديث رقم: (٢٩٩٣)، وأحمد حديث رقم: (١٦٩٣٧)، والدارمي بنحوه حديث رقم: (٢٥١٨).

زعموا أن في الحديث نكارة، إذ أن النبي ﷺ قد أخبر أن أمته ثلث أهل الجنة، كما في حديث: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة وأربعون من بقية الأمم**»، قالوا: فكيف يستقيم الشأن مع هذا الحديث: «**كلها في النار**»؟ فكان الجواب: أنهم مستحقون للنار، وقد يعفو الله ﷻ عمن شاء منهم ابتداءا، وقد يؤاخذ الله ﷻ من شاء ثم يكون مآلهم إلى الجنة.

وإذا نظرنا أيضا إلى الأتباع والرِّعَاع والهَمَج الذين يعذرون بجهلهم ونحو ذلك لا يدخلون في هذا الباب، المهم في أمور ذكرها المقبلي رحمه الله، ونقلها العلامة الألباني رحمه الله في كتابه (الصحيحة)، ونقلناها عنه في بعض المواطن.

ونعود إلى الحديث قال: (**أَنَّهُ قَامَ فِينَا**) أي خطيبا، وكان أميرا، (**فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا**) فهذا من المسلسل بالقيام، (**فَقَالَ: أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**) أي اليهود والنصارى، (**افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً**) أي جملتهم، وإلا قد تقدم التفصيل أن اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة، والملة هي الفرقة، وهي الطائفة، وهي الدين.

(**وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ**) على ما تقدم بيانه، (**ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**) أي مستحقة للنار، وقد يعفو الله ﷻ عمن شاء منهم، ويتجاوز ويصفح، (**وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ**) أي ناجية من العذاب، ناجية من البدعة، سميت بالناجية؛ لأنها ناجية من العذاب وناجية من البدعة، أي في جملتها، وهي الجماعة.

وقد اختلف العلماء في مسمى الجماعة، وذكر الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (الاعتصام): أن الجماعة تطلق على خمسة أنحاء: منها: الإمام، منها: الصحابة، منها: أهل الطريق المرضية والسبيل السوي، ومنها: من ليسوا بخوارج، وذكر غير ذلك.

(وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ) وهذا نص في أن الهوى وهو البدعة يتجارى بصاحبه، يعني كداء الكَلِب الذي يحول الإنسان إلى مثل الحيوان، ربما يأكل من وجده، (لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ)، ولذلك تجد أنهم يخالفون المنقول عن رسول الله ﷺ، ويخالفون الثوابت من سنة النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ وَاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ

لما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ما يتعلق بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ذكر من أسباب فرقتهم، وهو الجدل، قال النبي ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»، والأمر الثاني: اتباع المتشابه من القرآن، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، وسيأتي معنا الآية على الوقف على لفظ الجلالة (الله)، والوقف على لفظ: (الراسخين في العلم).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٩٨ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، نَا يَزِيدُ بْنُ أَهْيَمَ التُّسْتَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧] إِلَى: {أُولُو الأَلْبَابِ} قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» (١).

هذا حديث أصل في أن أهل البدع قد خالفوا المنقول من أوامر الله ﷻ وأوامر رسوله ﷺ بإتباع المحكم البين الواضح الذي لا إشكال فيه قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾، [سورة الرعد: ١-٢]، ونهى عن أتباع المتشابه، والمتشابه المراد به هنا ما أشكل معناه أو أشكلت كيفيته، أو نحو ذلك على ما يأتي إن شاء الله.

وقبل أن نبدأ في شرح الحديث نذكر لكم: أن القرآن وصف بأنه كله محكم، وبأنه كله متشابه، وبأن منه المحكم والمتشابه، فكيف الجمع؟ الجمع: كونه وصف بأنه كله محكم أي: بين واضح لا إشكال فيه، وإن وقع الإشكال على بعض الناس يعود إلى من هو أعلم منه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٧٦]، والوصف بأن كله متشابه يعود إلى التشابه في قصصه وأحكامه وأخباره، إذ لا اختلاف فيها ولا تناقض ولا تعارض، والقول بأن منه محكم ومتشابه فالمحكم البين

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٤٥٤٧)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٦٥)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٢٣٦)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٧)، وأحمد حديث رقم: (٤٧)، والدارمي حديث رقم: (١٤٥).

الذي يفهمه الجميع وتظهر دلالته للجميع، والمتشابه ما أشكل على بعضهم، أو أن التشابه فيما يتعلق بكيفية الصفات وما يتعلق بكيفية اليوم الآخر.

خلصنا أن المحكم المراد به البين الواضح، والمتشابه هو الذي يشكل على بعضهم، أو المتشابه فيما لا يعلم؛ لأنه لم ير الآن.

فطريقة أهل السنة: رد المتشابه إلى المحكم، وطريقة أهل البدعة: رد المحكم إلى المتشابه، مثلا قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥] محكم بين واضح أن الله في العلو، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [سورة الحديد: ٤] عند أهل السنة محكمة من أن الله معنا وهو على عرشه بائن من خلقه، لكن المبتدعة جعلوها من المتشابه، قالوا: قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [سورة الحديد: ٤] يخالف قوله: {وهو العلي العظيم}، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥]، ونحو ذلك.

فنقول لهم: نحن لا نقر بالمخالفة، فإن (مع) في لغة العرب لا تدل على الاختلاط والاتحاد، وإنما تدل على مطلق مصاحبة، وكل شيء بحسبه، فتقول: ما زلت أسير والقمر معي، والقمر في السماء، وإلا سألك أحدهم: زوجتك معك أم فارقتها؟ تقول: ما زالت معي، وهي في البيت وأنت في المسجد، وربما تقول: القلم معي وهو في جيبك وفي مخبئك، فكل شيء بحسبه، فقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [سورة الحديد: ٤] معنا بسمعه وبصره وعلمه وإحاطته، وغير ذلك من خصائص ربوبيته، هذا من باب بيان المعتقد.

إذا لم يقر المبتدع بهذا الذي ذكرناه نقول: هب أن هذا كما تقول مشكل عليك لم تتبينه ولم تفهمه ما هي الطريقة السلفية؟ رد المشكل رد المتشابه إلى المحكم،

فعندنا: {وهو العلي العظيم}، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: ١]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: ٥٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر: ١٠]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك: ١٧]، كلها دالة على العلو، ودواليك في جميع آيات وأحاديث الصفات.

ثم من باب الفائدة: باب الآيات الصفات ليس من المتشابه، إنما زعم أهل البدعة أنه من المتشابه، أما أهل السنة فهو عندهم من المحكم، كيف عرفنا أنه من المحكم؟ لا بد أن ندلل، عرفنا أنه من المحكم؛ لأننا لقينا الصحابة رضوان الله عليهم سألوا النبي ﷺ عن كثير من الآي التي فيها أحكام، بينما لم يسألوه عن آية واحدة فيما يتعلق بالأسماء الصفات؛ لأنهم يعلمون معنى الرحيم، معنى الغفور، معنى الحكيم، معنى السميع، يعلمون معنى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٦]، وهكذا ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، إلى غير ذلك، إذ أن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥].

نعود إلى درسنا قال: **(قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ)**، لعله قرأها؛ لبيان معناها، أو أنه كان يقرأ مدارسة، ثم بينها لعائشة رضي الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة آل عمران: ٧]: القرآن، ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧]: بينات واضحات، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: مشكلات، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: المشكل منه، الذي لم يظهر عندهم المعنى الواضح منه البين منه، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ انظر إلى قصدهم، ابتغاء الفتنة، البدعة الضلالة، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: تحريفه؛ لأن التأويل يأتي بمعنى التحريف، يأتي بمعنى

التفسير، يأتي بمعنى الحقيقة والمآل، يأتي بمعنى العمل، أربعة، التأويل يأتي على أربعة: بمعنى التفسير، بمعنى العمل، بمعنى الحقيقة والمآل، بمعنى التحريف، فالمراد هنا به: التحريف.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ هنا لفظ التأويل الثاني المراد به: لا يعلم حقيقته ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ إذا وقفنا على لفظ الجلالة (الله) سيكون: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾: لا يعلم حقيقة ما يتعلق بكيفية الصفات وكيفية اليوم الآخر إلا من؟ الله، لكن إذا وقفنا على (العلم) ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ سيكون: وما يعلم تفسيره إلا الله كما أن الراسخين في العلم يعلمون تفسيره، على الوقف على الحالين.

وأيضا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالمحكم والمتشابه، ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ لا تعارض ولا تناقض، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [سورة آل عمران: ٧]: أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة.

قالت: **(قالت: فقال رسولُ ﷺ: فإذا رأيتمُ الذين يتَّبِعُون ما تشابَهَ منه)** أي لرد المحكم البين الواضح، وهم أهل البدع، **(فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ)** أي ذكرهم الله في هذا الموطن، **(فَاحْذَرُوهُمْ)** لا تجالسوهم، ولا تكلموهم، فإنهم أهل الزيغ والبدع، وهذا الحديث أصل في هجر أهل البدع كما ترى.

قال رحمه الله:

بَابُ مُجَانَبَةِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَبُغْضِهِمْ

المجانبة: البعد عنهم والهجر لهم، وهذا أمر أجمع عليه السلف، إذ أجمعوا على قهرهم وهجرهم، والتحذير منهم، والبعد والنهي والنأي عنهم، السلف ليسوا

كحالنا الآن، الآن لجهل الناس بالعقيدة الصحيحة يقول لك: يا أخي كلكم تقولون: لا إله إلا الله، كلكم تصلون، كلكم تدعون، السلف رضي الله عليهم كانوا يميزون بين أهل الحق وبين أهل الضلالة في العقيدة، في الطريقة التي هي طريقة الصحافة رضوان الله عليهم، من سلكها فهو المهتد، ومن خالفها فهو الضال.

ولذلك قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: من ترك سبيلهم عامدا ضل، ومن ترك سبيلهم جاهلا ذل، يعني ما هناك عذر في باب العقيدة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]، (لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة)، «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، والله إن أحدكم ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ لما يلقي من الشبهات**».

والحمد لله أغلب هذه الأبواب التي قرأتها وسنقرؤها قد تكلمت عليها بتوسع في كتابي (الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية).

قال رحمه الله:

٤٥٩٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ» (١).

(**يزيد من أبي زياد**) ضعيف، (**مجاهد**) بن جبر، (**عن رجل**) مبهم، وهو من قسم المجهول، (**أبي ذر**) جندب بن جنادة.

(١) أخرجه أحمد مطولا حديث رقم: (٢١٣٠٣).

وتدل عليه أدلة تغني عنه، «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وحديث: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**».

قال رحمه الله:

٤٦٠٠ - حَدَّثَنَا ابْنُ السَّرْحِ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي [وأخبرني] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَيْنِهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَذَكَرَ ابْنُ السَّرْحِ قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ثُمَّ سَاقَ خَبَرَ تَنْزِيلِ تَوْبَتِهِ (١).

(**قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ**) قصة طويلة مخرجة في الصحيحين وغيرهما، وذكرها الله في آخر سورة التوبة.

(**الثَّلَاثَةُ**): كعب بن مالك، وزرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

(**أبي قتادة**) الحارث بن ربعي.

قال الخطابي: فيه أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عتب وموجدة أو لتقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها دون ما كان ذلك من حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على ممر الأوقات والأزمان، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، انتهى.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٤٤١٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٦٩)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٣٦٢).

انظر إلى هذا النقل الطيب، وهذا محل إجماع بين السلف، والمبتدع قد يهجر؛ لتأديبه وزجره عن بدعته وإهانته وتحقيره، ويهجر أيضا؛ لاتقاء شره والتأثر به؛ لأن البدعة شبهة، والشبه خطافة، والإنسان قد يجالس المبتدع ويظن أنه على خير واستقامة، وإذا به يرجع القهقرى، وتعلمون قصة عمران بن حطان مع زوجه، حيث تزوج بها يريد أن يهديها إلى السنة، فصار بعد ذلك إلى البدعة، وصار يثني على قاتل علي بن أبي طالب، ويقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ عند ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند ذي العرش ميزانا

نشرح هذا لعلنا نفرغه إن شاء الله فيطبع في كتاب مستقل، شرح السنة لأبي داود هذه الأيام كلها الدرس فيه حتى ننتهي من كتاب السنة، سنستمر في طول الأسبوع إلا الخميس.

قال رحمه الله:

بَابُ تَرْكِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ

أي أنهم لا يدخلون في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [سورة النساء: ٨٦]، وهكذا لا يدخلون في قول النبي ﷺ: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، فالمبتدعة يهجرون، وعن باطلهم يزجرون، وقد تقدم معنا ما يتعلق بقصة كعب بن مالك، إذ أنه سلم على ابن عمه أبي قتادة فأبى أن يرد عليه السلام.

قال رحمه الله:

٤٦٠١ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، نَا حَمَّادٌ، أَنَا عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ» (١).

(عطاء الخراساني) هو ضعف.

(وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ) كأنها من البرد أو غيره.

(فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ) يعني طيبوه بالزعفران.

وإذا كان لم يرد عليه السلام في مثل هذا فمن باب أولى من أحدث في دين الله لأن رد السلام سبب للمحبة والألفة والقرب، والمبتدع حقه أن يهجر ويزجر حتى يتوب إلى الله عز وجل أو يبقى منبوذا.

قال رحمه الله:

٤٦٠٢ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ سُمَيَّةَ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لِزَيْنَبَ: «أَعْطِيهَا بَعِيرًا» فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ (٢).

---

(١) أخرجه أحمد مطولا حديث رقم: (١٨٤٠٧).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٦٨٦٦).

(حماد) بن سلمة، من الأثبات في ثابت.

سمية مجهولة، والحديث ضعيف، لكن ساق المصنف هذه الأحاديث بما أن متعاطي مثل هذه الأفعال يهجر فمن باب أولى هجر أهل البدع والمنكرات، (لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة).

قال رحمه الله:

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ

يعني ضرب القرآن بعضه ببعض، وهكذا رد القرآن بالسنة ورد السنة بالقرآن وينبغي الجمع بين الأدلة، وعدم المجادلة؛ لأن الجدال سبب للضلال، قال النبي ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»، وقرأ قول الله ﷻ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٨]، ولهذا يسمى أهل البدع بأهل الجدل، وبأهل الخصام، ونحو ذلك، وكانوا يكرهون المناظرة إلا لمن أراد الحق بينوا له الحق بدليله، أما المناظرة مع أهل الباطل فتترك؛ لأن فيها رفع لشأنهم، وإظهار لشرهم.

قال رحمه الله:

٤٦٠٣ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، نَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ».

أي يؤدي إلى الكفر؛ لأنه قد يؤدي بالإنسان إلى رد آية، أو إلى رد حكم، والنبي ﷺ ولعله يأتي خرج عليهم وهم يتجادلون في القرآن، فكأنما فُقِأ في وجهه حب الرمان، وغضب.

قال المناوي: أي الشك في كونه كلام الله، أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم، أو المجادلة في الآي المتشابهة وذلك يؤدي إلى الجحود فسماه كفرا باسم ما يخاف عاقبته، انتهى.

وقال الإمام ابن الأثير في (النهاية): المراء الجدال، والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع.

قال أبو عبيد: ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل ولكنه على الاختلاف في اللفظ وهو أن يقول الرجل: على حرف، فيقول الآخر: ليس هو هكذا ولكنه على خلافه، وكلاهما منزل مقروء به، فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك يخرجه إلى الكفر لأنه نفى حرفا أنزله الله على نبيه.

وقيل: إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء دون ما تضمنته من الأحكام وأبواب الحلال والحرام، فإن ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز، انتهى كلامه.

وقال الطيبي: هو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن ليدفع بعضه ببعض فينبغي أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين على وجه يوافق عقيدة السلف، فإن لم يتيسر له فليكله إلى الله تعالى، وقيل: هو المجادلة فيه وإنكار بعضها، انتهى.

المهم هو ما يسلكه أهل الباطل، فمثلا ينفون صفة العلو باستدلالهم بآيات المَعِيَّة، وهكذا ينفون الصفات باستدلالهم بآيات التنزيه، والممثلة يمثلون الله بصفات خلقه استدلالا بآيات الإثبات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ

أي طريقة النبي ﷺ، وفي هذا رد على الطائفة التي تسمي نفسها بالقرآنية، الذين ينكرون حجية السنة مطلقا، وهؤلاء محجوجون مخصومون، لا يستطيع أحدهم أن يصلي كما صلى رسول الله ﷺ إلا بإثبات السنة، كما لا يستطيع أن يؤدي الزكاة وأن يحج ويعتمر إلا بإثبات السنة، والسنة مفسرة للقرآن مبينة له موضحة له.

قال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على القرآن.

وقال بعض السلف: لا أقول: قاضية على القرآن، ولكن أقول: مبينة له.

وهذا هو مراد يحيى بن أبي كثير، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، فقد نزلت الأحكام في القرآن مجملة وبينتها السنة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال النبي ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كتب النبي ﷺ بما يتعلق

بأنصبة الزكاة إلى البلدان، وهكذا ما يتعلق بأحكام رمضان، وأحكام الكفارات، وكثير من أحكام البيوع.

فمن زعم أن يستغني بالقرآن عن السنة فقد عطل الوحي العظيم الذي هو مبين للقرآن، قال النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»، قال الله ﷻ عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٤].

وهذه المسألة قد رد على أصحابها الشافعي رحمه الله كتاب (الرسالة)، وهكذا ابن حزم في كتابه (أحكام الأحكام)، وابن القيم في غير ما كتاب.

والوجه الثاني من رد السنة: القول بعدم قبول خبر الآحاد، إما مطلقا أو في العقيدة، وهو قول محدث مبتدع، جاء من قبل المعتزلة، أول من قال به عبد الرحمن ابن كيسان الأصم، وتبعه عليه إبراهيم بن إسماعيل بن علية المعتزلي، وأبوه سني سلفي.

وقد رد البخاري على هذه الطائفة في كتابه (الصحيح)، إذ ذكر أبوابا في قبول خبر الآحاد، وتكلم العلماء أيضا كابن القيم في كتابه (الصواعق المرسلة) وهو مسطر في كتاب (مختصر الصواعق المرسلة) لابن الموصلي، وللشيخ الألباني رحمه الله رسالة (الحديث حجة بنفسه)، أو نحو ذلك.

وما زالت هذه الطوائف متوافرة إلى الآن، طوائف ترد دلالة السنة مطلقا وطوائف تنتقي من السنة وترد خبر الآحاد، فإذا رأيت من يطعن في سنة النبي ﷺ فاتهمه على الإسلام، وفي غير ما كتاب من كتب السنة كالإبانة لابن بطة وغيره: أصحاب الرأي أعداء السنن.

قال رحمه الله:

٤٦٠٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ» (١).

(حريز بن عثمان) يقولون: مشايخ حريز كلهم ثقات، لكن هذه القاعدة ليس على إطلاقها، إذ أن الرجل في بدئ الطلب قد يطلب العلم عند الثقة وعند غير الثقة، وإنما يبدأ يميز بعد فترة من الطلب.

(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) أي السنة.

(أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ) سريره المزين بالحلل والأثواب، قد ملأ بطنه من الطعام ولكنه خاو من العقيدة الصحيحة.

(يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ) هذا من التلبيس، وإلا إذا رأيت الرجل يدعو إلى التمسك بالقرآن والبعد عن السنة فاعلم أنه طاعن في القرآن، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧]، ويقول: ﴿فَلَا

(١) أخرج الترمذي حديث رقم: (٢٦٦٤)، وابن ماجه حديث رقم: (١٢)، وأحمد حديث رقم: (١٧١٧٤)، بألفاظ متقاربة.

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء: ٦٥]، ويقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١] ويقول: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة المائدة: ٩٢]، ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، فلم يفرق القرآن بين ما هو طاعة لله ﷻ وما هو طاعة لرسول الله ﷺ، وفي الحديث: «**فإن من طاعة الله طاعتي**».

(فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) وهكذا عليكم بالسنة، فما فيها من البيان أكثر مما في القرآن، القرآن يقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٥]، بينما السنة فيها: حرم النبي ﷺ كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من الحيوان، وهكذا حرم الحمر الإنسية، وذكر العلماء: أن المحرم أيضا ما أمر بقتله وما نهي عن قتله، والخنزير، والكلب، وغير ذلك من المحرمات.

(أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ) وليس تحريمه في القرآن، **(وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ)** وليس تحريمه في القرآن.

(وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا) اللقطة يعرفها صاحبها سنة على ما تقدم في باب اللقطات، فإن لقي صاحبها وإلا استمتع بها، هذه لقطة الذهب والورق وما في بابه.

(وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ) يضيفوه، ليلة الضيف حقة على من نزل بساحتهم.

(فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ) جاء أيضا في الصحيح من حديث عقبة ابن عامر أنهم أذن لهم في حلب شياهم بقدر ضيافتهم.

قال الخطابي: في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ شيء كان حجة بنفسه فأما ما رواه بعضهم أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه، فإنه حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي، عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة.

وقال الشوكاني في (الفوائد): قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث، يعني ما روي عنه ﷺ أنه قال: (ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا، وكيف أخالف كتاب الله، وبه هداني الله)، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، بل قال بعض أهل العلم: عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فرده كتاب الله.

قال رحمه الله:

٤٦٠٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ قَالَا: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ [1]، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) وفي نسخة: (حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلي وابن كثير، قالوا: حدثنا سفيان).

قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ» (١).

(لَا أُلْفِيَنَّ): لا أجدن، من ألفيته ووجدته.

(مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ) على سريره المزين.

(يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ) لأن كلاهما طلب، الأمر طلب فعل، والنهي طلب ترك.

(فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ) وهذا من كذبهم وتلبيسهم، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ إنه قال هذا الحديث قبل أن تظهر هذه الطائفة المارقة، المخالفة للكتاب والسنة.

قال الشارح: ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع بما أخبر به، فإن رجلا خرج من الفنجاب من إقليم الهند وانتسب نفسه بأهل القرآن وشتان بينه وبين أهل القرآن بل هو من أهل الإلحاد والمرتدين، وكان قبل ذلك من الصالحين فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في إهانة النبي ﷺ، ورد الأحاديث الصحيحة بأسرها وقال: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي ﷺ وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المائدة:

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٨٥٤)، وأحمد حديث رقم: (٢٣٨٦١).

٤٤]، وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال وجعلوه إماما، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده وخرجوه عن دائرة الإسلام، والأمر كما قالوا، والله أعلم.

قال: وأيضا في الحديثين توبيخ من غضب عظيم على من ترك السنة استغناء عنها بالكتاب فكيف بمن رجح الرأي عليها أو قال: لا علي أن أعمل بها فإن لي مذهبا أتبعه.

قال رحمه الله:

٤٦٠٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، (ح)، وأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُخَرِّمِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»، قَالَ ابْنُ عِيسَى: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَى غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ» (١).

وهذا الحديث من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وذكر النووي رحمه الله: أن مثل هذا الحديث ينبغي أن يشاع بين الناس، وأن يحفظوه، وأن يعملوا به، فهذا الحديث رد للبدع والمحدثات جميعها دون تفريق، سواء كان هو المحدث أو كان غيره المحدث لها.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم حديث رقم: (١٧١٨)، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٤)، وأحمد حديث رقم: (٢٦٠٣٣)، متفق عليه بلفظ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وانفرد به مسلم بلفظ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

(مَنْ أَحْدَثَ) بنفسه (فِي أَمْرِنَا): ديننا وشريعتنا (هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ) لم يثبت عن النبي ﷺ ولا السلف الصالح، (فَهُوَ رَدٌّ): مردود عليه، واللفظ الآخر: «من عمل عملا»، أي أن المحدث غيره وهو متبع له، «على غير أمرنا فهو رد».

قال الخطابي رحمه الله: في هذا الحديث بيان أن كل شيء نهى عنه رسول الله ﷺ من عقد نكاح وبيع وغيرهما من العقود فإنه منقوض مردود لأن قوله فهو رد يوجب ظاهره إفساده وإبطاله إلا أن يقوم الدليل على أن المراد به غير الظاهر فينزل الكلام عليه لقيام الدليل فيه، انتهى.

البخاري رحمه الله تعالى استدل بهذا الحديث في كتاب الأحكام مبينا رد القضاء المخالف للكتاب والسنة.

قال رحمه الله:

٤٦٠٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ٩٢]، فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ [هذا] مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا [علينا]؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا [عبد حبشي]، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ

مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ [المهديين الراشدين]، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١).

هذا الحديث أصل في بيان العلاج وهو التمسك بالسنة، والمرض وهو الوقوع في البدعة، والحمية وهو التنزه والبعد عن أسباب البدع، فعندنا السنة هي طريقة النبي ﷺ، والمخالف لها البدعة، وسبيل البدعة مخالفة طريق السلف والوقوع في طريق الخلف.

وقد شرح هذا الحديث وتوسع في شرحه ابن رجب رحمه الله في كتابه الماتع (جامع العلوم والحكم)، والحديث مخرج في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)، وإن كان في سنده مجهول ومن لا يعرف لكن لشواهده، وهو من جوامع كلم النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم): فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة وأكد ذلك بقوله: «**كل بدعة ضلالة**»، والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة، فقوله ﷺ: كل بدعة ضلالة، من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٨٧١)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٤)، وأحمد حديث رقم: (١٧١٤٢)، والدارمي حديث رقم: (٩٥).

قول عمر ﷺ في التراويح: نعمت البدعة هذه، وروي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة، ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه وأقره علي واستمر عمل المسلمين عليه، وروي عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة، ولعله أراد ما أراد أبوه في التراويح، انتهى ملخصا.

أما أذان الجمعة الأول قد جاء أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم لازموا أذانا واحدا، فنبقى على ما ثبت عن النبي ﷺ، فلا يقدم على قوله ولا على فعله.

قال رحمه الله: قوله: **(أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ** ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ٩٢] أي أنه كان من الفقراء المعدمين، لم يستطع الخروج في غزوة تبوك، **(فَسَلَّمْنَا)** السلام القادم على الجالس.

(وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ) الإخبار بما أتى لأجله، والزيارة في الله من عظيم أسباب الأجر والمثوبة، **(وَعَائِدِينَ)** لعله كان مريضا أو نحو ذلك، **(وَمُقْتَبِسِينَ)** للعلم والتوجيه والإرشاد.

(فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ) يعني فيها من الترغيب والترهيب ما الله به عليم، والنبي ﷺ كان أفصح الناس.

(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) والتقوى: ملازمة المأمور والبعد عن المحظور، والسمع والطاعة لولي أمر المسلمين في طاعة الله؛ لقوله: «**إنما الطاعة في المعروف**».

(وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا) وفي نسخه: (وإن عبد حبشي)، فيه دليل أن قضية الأئمة من قريش ابتداء، أما إذا وُجد إمام للمسلمين ليس بقرش فيسمع له ويطاع في طاعة الله ﷻ، «**ما لم تر كفرا بواح عندك فيه من الله برهان**»، حتى وإن وجد الكفر البواح لا بد من توفر شروط الخروج عليه، وإبداله بغيره ممن هو أحسن منه حالا، وعدم الاستعانة بالكفار، وعدم كون الفتنة بين المسلمين.

(فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا) هذا هو المرض، الخلاف الواقع بعد موتة النبي ﷺ، فما العلاج؟ (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي) أي: الزموا سنتي، طريقتي، (وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) أي في فهم سنة النبي صلى الله عليه و سلم، ليست لهم سنة مستقلة، والخلفاء الراشدون لهم أحوال:

الحال الأول: أن يوافقوا ما جاء عن النبي ﷺ، فهذا يعمل بما جاء عن النبي ﷺ وبفهمهم.

الحال الثاني: أن لم يأتي على النبي ﷺ نص وجاء عنهم وأجمعوا على ذلك فهو سنة وطريقة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»، وهم أعلم الأمة، وهم أفضل الأمة.

الأمر الثالث: أن لا نجد دليلا، ووجدنا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في قول وخالفهم مثلا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فيقدم قول أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم، وإن اختلف أبو بكر وعمر يقدم قول أبي بكر، هذا في حال عدم وجود الدليل، أما إذا وجد الدليل الدليل هو المقدم، وإن قال واحد منهم بقول ولم يخالف يؤخذ به، لم

يخالف دليلا ولم يختلف الصحابة فيؤخذ به، الأخذ بقول الصحابي أولى من إهداره.

وقد تكم ابن القيم على هذه المسألة في كتابه (إعلام المواقعين) بكلام نفيس يعاد إليه، فليس على إطلاقه تقول: هذا قول صاحب لم يثبت عن النبي ﷺ وليس بحجة، هذا ليس على إطلاقه، إذا وُجد الدليل فهو المقدم، إذا لم يوجد دليل واتفقوا فاتفاقهم حجة، إذا لم يوجد دليل واختلفوا نقدم أقرب الأقوال إلى الأدلة.

سموا بالراشدين؛ لرشدهم ولاتباعهم سنة النبي ﷺ.

(تَمَسَّكُوا بِهَا) ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٠]، وهذا كناية عن شدة العمل وعدم المخالفة للكتاب والسنة، **(وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)** ذكر النواجذ؛ لأنه لو عظ عليها بالأسنان قد تسقط سريعا، لكن العظ بالنواجذ كناية عن شدة التمسك.

(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ) وشر الأمور المحدثات التي جاءت بعد النبي ﷺ، فالبدعة هي الدين الذي لم يشرعه الله، أو تستطيع تقول: هي ما أحدث على غير مثال سابق، يراد به التقرب إلى الله ﷻ، فيخرج به البدع الدنيوية.

(فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ) محدثة في الدين، يبينها بقية الأحاديث، وأما ما يستدل به بعض العوام يقول: إذًا السيارة بدعة، مكبر الصوت بدعة، والإذاعة بدعة، وكذا بدعه، هذه بدع دنيوية، والنبي ﷺ يقول: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، فانظر إلى هذا العموم، **(فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)**، جاء في بعض الروايات عند النسائي: «**وكل ضلالة في النار**».

قال رحمه الله:

٤٦٠٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» (١).

قال الخطابي: المتنطع: المتعمق في الشيء المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم، وفيه دليل على أن الحكم بظاهر الكلام وأنه لا يترك الظاهر إلى غيره ما كان له مساغ وأمكن فيه الاستعمال.

وهذا الحديث هل هو دعاء من النبي ﷺ أو خبر؟ للعلماء في ذلك قولان: القول الأول: أنه دعاء، ودعاء النبي ﷺ غالبه يستجاب القول الثاني: أنه خبر، وخبر النبي ﷺ حق وصدق، فهذا دعاء عليهم أو خبر عليهم، ولذلك يلحقهم الهلاك، فانظروا إلى الخوارج في كل زمن وحين يلحقهم الهلاك، ويلحقهم البوار، الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦]، وعمر رضي الله عنه يقول: نهينا عن التكلف.

قال رحمه الله:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٧٠)، وأحمد حديث رقم: (٣٦٥٥).

بَابُ مَنْ دَعَا إِلَى السُّنَّةِ (باب لزوم السنة)

يعني أجر من دعا إلى السنة، كما أن من دعا إلى ضلالة عليه الإثم كذلك من دعا إلى السنة له الأجر والمثوبة، وهي من أعظم الأعمال المقربة إلى ذي الجلال ﷻ، فعلى أهل السنة أن يشمروا وأن يجتهدوا في هذا الباب، فإنا نرى دعاة الضلالة ربما بذلوا الأوقات وبذلوا الأموال وبذلوا غير ذلك من أجل عقيدتهم الفاسدة، وطريقتهم الكاسدة.

وتجد في بعض من عرف الحق الفتور والتواني، وهذا أمر لا يجوز شرعا ولا قدرا، فإن الإسلام إنما يُنشر بعد توفيق الله ﷻ بجهود حملته، ولهذا قال النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»، قد قال الله ﷻ في بيان هذا الباب: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

٤٦٠٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا. »

(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى) إلى سنة، وإلى خير، وعمل صالح.

(كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ) من علمه ودعاه ودله وأرشده، الدال على الخير له كأجر فاعله.

(لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا) يعني حتى لا يظن الظان أنه يقع المقاصة بين الاثنين، فربما تجد العامل يخشى أن الدال له على الخير يأخذ من أجره، لا، أجره تام، وأجر الدال على الخير تام.

(كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ) كما قال الله ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

وهذا الحديث فيه ترهيب ووعد، أما الوعد فهو لأهل السنة والجماعة دعاة الهدى؛ لِمَا لهم من الأجر والمثوبة عند الله ﷻ، وأما الترهيب فهو لدعاة البدعة والضلالة، أصحاب الردى؛ لما لهم من الإثم للزور الذي يعتقدونه ويدعون إليه.

قال رحمه الله:

٤٦١٠ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» (١).

(عن أبيه) سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة.

يقول: اعلم أن المسألة على نوعين:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٧٢٨٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٥٨)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٤٥).

أحدهما: ما كان على وجه التبيين فيما يحتاج إليه من أمر الدين وذلك جائز كسؤال عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة في أمر الخمر حتى حرمت بعدما كانت حلالا؛ لأن الحاجة دعت إليه.

وثانيهما: ما كان على وجه التعنت وهو السؤال عما لم يقع ولا دعت إليه حاجة، فسكوت النبي ﷺ في مثل هذا عن جوابه ردع لسائله، وإن أجاب عنه كان تغليظا له فيكون بسببه تغليظا على غيره، وإنما كان هذا من أعظم الكبائر؛ لتعدي جنايته إلى جميع المسلمين ولا كذلك غيره. كذا قال ابن الملك في (المبارق).

قال رحمه الله:

٤٦١١ - حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عَائِذَ اللهِ أَخْبَرَهُ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَمِيرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي، وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ. قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللهُ [يرحمك الله] أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟

قَالَ: بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ، وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ مَكَانَ يُثْنِيَنَّكَ. وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالْمُشْتَبِهَاتِ [بِالْمُشَبِّهَاتِ] مَكَانَ الْمُشْتَهِرَاتِ، وَقَالَ: لَا يُثْنِيَنَّكَ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: بَلَى، مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ حَتَّى تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ.

(كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ) أي معاذ بن جبل ﷺ، وهو القائل: لا شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله، مات وعمره خمسة وثلاثين سنة- ولكنه كان قد أثرى، وقد بعثه النبي ﷺ إلى اليمن.

(اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ) والمراد بالذكر هنا الوعظ، أي: حاكم عادل، (هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ) أي الشاكون.

(إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا) أي أمامكم وبعدكم.

(يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ) الذهب والفضة؛ لكثرة الفتوحات، ولكثرة الزراعات والتجارات.

(وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ) يعني يدرس ويشاع إقراؤه حتى يكثر حفاظة.

(حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ) يأخذه المؤمن؛ ليتعبد به، ويأخذه المنافق؛ ليتأكل به.

(فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي؟) يعني يتعاظم بنفسه، ويحب أن يكون متَّبَعًا، فإذا اتبع بغير دليل ولا برهان هلك وأهلك.

(مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ) يعني يدخل عليه الشيطان من هذه الناحية ما سيتبعك الناس حتى تحدث شيئا، ولذلك بعضهم أحدث الأناشيد والألحان وبعضهم أحدث حلق الذكر الجماعي، وبعضهم أحدث التغبير، وغير ذلك مما يفعله المخالفون.

(فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ) احذروا من بدعته، (فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ) إذْ لم يكن على مثال سابق عن رسول الله ﷺ وأصحابه.

(وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ) انحراف العالم عن الحق، وزلة العالم، ولماذا حذر من زيغة الحكيم؟ لأنه لو أخطأ اللئيم ما اتبعه أحد، ولكن الحكيم يقتدي به الناس.

(وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ) يريد بها باطلا، أو يريد أن يتوصل بها إلى باطل.

(قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذٍ) أي أن يزيد بن عميرة قال لمعاذ رضي الله عنه مستفهما.

(مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ) يعني كيف أميز بين الضلالة من الهدى؟ وهذا أمر قد يلتبس.

(اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ) يعني إذا سمعت في كلام العالم والحكيم ما يشككك في الشأن ولم تعلم مصدره فاجتنب مثل هذه حتى يتبين لك دليلها.

(فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا) يعني لعل الحكيم أن يرجع عن زلته وعن خطئه، وأيضا إذا سمعت كلمة حق من منافق لها نور والمنافق إنما يتكلم بلسانه ويخطئ قلبه وجوارحه، أي في هذه الكلمة بعينها.

(وَلَا يُنْثِيَنَّكَ): أي يبعدك.

قال رحمه الله:

٤٦١٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، (ح)، وأَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَذِّنُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ دُلَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يُحَدِّثُنَا عَنِ النَّضْرِ، (ح)، وأَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ قَبِيصَةَ قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ أَبِي الصَّلْتِ، وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَمَعْنَاهُمْ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، فَكَتَبَ: أَمَّا بَعْدُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَمَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا [وعبرة ما فيها]، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى [عن] عِلْمٍ وَقَفُوا وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَلَئِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ.

كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، فَعَلَى الْخَبِيرِ بِإِذْنِ اللهِ وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ، وَفِي شِعْرِهِمْ يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ، وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ وَلِمَ قَالَ كَذَا؟ لَقَدْ قَرَؤُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ وَمَا يُقْدَرْ يَكُنْ [يكون]، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا نَفْعًا، وَلَا ضَرًّا ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا».

(كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ) وعمر بن عبد العزيز كان من العلماء، إنما شغل بأعباء الخلافة، وإلا هو في مرتبة الزهري، ومرتبة عروة، ومن إليهم من الفقهاء.

(فَكَتَبَ: أَمَّا بَعْدُ) أي بعد حمد الله والثناء عليه.

(أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ) بتقوى الله: بفعل المأمور وترك المحظور، والاقتصاد في أمره: التوسط بين الإفراط والتفريط.

(وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ) أي وأوصيك باتباع سنة رسوله ﷺ.

(وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَمَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ) أي الأمور المحدثة الواقعة بعد استتباب السنة والخير.

قال: والحاصل أنه أوصاه بأمور أربعة: أن يتقي الله تعالى، وأن يقتصد أي يتوسط بين الإفراط والتفريط في أمر الله أي فيما أمره الله تعالى لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه، أو أن يستقيم فيما أمره الله تعالى لا يرغب عنه إلى اليمين ولا إلى اليسار، وأن يتبع سنة نبيه ﷺ وطريقته، وأن يترك ما ابتدعه المبتدعون.

(وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ) يعني قام السلف بما يُحتاج إليه، فعليك باتباع سبيلهم.

(فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ) عصمة من الفتن والضلالات والمهلكات.

(ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا) يعني فعل النبي ﷺ وفعل أصحابه، دليل على أن هذه بدعة في الدين، ولو كانت هدى لعملوا بها هم.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

(أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا) أي عبرة في تلك البدعة أنها بدعة وضلالة، فيها دلائل الزور والبهتان والمخالفات.

(فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا) وهم الصحابة، علموا عظيم شأن السنة وشؤم البدعة.

(مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ) أي في البدعة الخطأ والزلل والحمق والتعمق، التكلف المنهي عنه.

(فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ) وهم الصحابة والتابعون.

(فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا) أي لم يتجاوزوا؛ لعلمهم أن الحق في الدليل.

(وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا) أي كفوا عن التعمق، ولو أرادوا التعمق كانوا أقوى منك، وأعلم منك، وأحرص منك، لكنهم علموا أن التعمق سبب للضلال.

(وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى) لو كان هناك ثمت ما يحتاج إلى كشف.

(وَبِفَضْلٍ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى) لو كان فضل في هذه البدعة والمحدثة لكانوا أولى في السبق إليها، والأخذ بها.

(فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ) سبقتم إليه الصحابة رضي الله عنهم، وهذا محال.

(فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ) يعني هذا اعتراف أن الصحابة رضي الله عنهم هم أهل الخير والنظر والفقه والأثر، فمن خالفهم فهو على غير سبيلهم، (فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي) بعيدا عن عمل الكلام والتنطع، (وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي) ما يشفي القلوب السقيمة، (فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ) من قصر عن منهج السلف فعنده قصور، (وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ) من أراد أن يسبقهم فهو حاسر وحسير.

(وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا) يعني صاروا من الجفاة؛ لأنهم فرطوا، (وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا)؛ لأنهم أفرطوا، فالبدعة إلى الغلو وإلى الجفاء، وإلى الإفراط وإلى التفريط، والسنة بين ذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] أي: عدلا خيارا.

(وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) أي السلف رضوان الله عليهم على صراط الله.

(فَعَلَى الْخَبِيرِ بِإِذْنِ اللهِ وَقَعْتَ) على عالم يدلك على الخير والهدى والنور والضياء.

(مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ)؛ لأنهم كذبوا بعلم الله، ونفوا مشيئة الله، ولم يقروا بخلق الله ونفوا الكتاب الأول، فضلوا وأضلوا مع توافر الأدلة، وهؤلاء الذين نفوا العلم كفار كما قال ابن عمر: إذا لقيتموهم فأخبروهم أني منهم بريء وأنهم مني برءاء.

(يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ) ربما أضافوه إلى القدر وإلى مشيئة الله.

(ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً) ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨].

(وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ) «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»، الحديث المشهور حديث جبريل.

يعني الحاصل أن المسلمين من الصحابة والتابعين أقروا بالقدر وتيقنوا به وسلموا نداء ذلك لربهم، وضعفوا أنفسهم، فهم يؤمنون أن الله بكل شيء عليم، أحاط بكل شيء علما، ويؤمنون بأن ما من شيء إلا وهو في كتاب، ويؤمنون بأن ما

شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمنون بخلق الله للموجودات المخلوقة، «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

(وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ) يعني في المحكم ليس في المتشابه الذي يشكل عليكم.

(وَلَئِنْ قُلْتُمْ: لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ وَلِمَ قَالَ كَذَا؟) لا تعترضوا على الله، الاعتراض على الله بلم سبب ضلال القدرية، والاعتراض على الله بكيف سبب ضلال الممثلة والمعطلة.

(وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ) من تفسيره.

(وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ) كتبت على العبد وهو في بطن أمه ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧]، فيكتب شقي أو سعيد، كما في حديث عبد الله بن مسعود.

(وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) وهذا محل إجماع.

(ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا) يعني مع إيمانهم بالقدر رغبوا فيما عند الله، ورهبوا من أعمالهم السيئة.

فهذه مناظرة عظيمة، ونصيحة سديدة، من عمر بن عبد العزيز للقدرية، وهو الذي قام على غيلان الدمشقي وتوبه، ثم إن غيلان الدمشقي عاد إلى بدعته فصلب في عهد هشام بن عبد الملك، كان غيلان الدمشقي ينكر علم الله الأزلي، وينكر كذلك خلق الله ﷻ لأفعال العباد، فقال له: يا غيلان ما بلغني عنك؟ قال: خير يا أمير المؤمنين، قال: اقرأ يس، قال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ

حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ [سورة يس: ١-١١].

الآيات، قال: والله يا أمير المؤمنين، ما كأنني قرأتها إلا اليوم، فتركه وقال: إن كنت كاذبا صلبك الله على باب دمشق، فذهب وهو يقول: أدبني العبد الصالح.

فلما قضي على عمر بن عبد العزيز عاد غيلان إلى بدعته، وصلب وجعلت الذباب تصل إلى يده، وعلى جراحاته، وكان الناس يقولون له: يا غيلان بقضاء وقدره؟ وهو يشير برأسه ويقول: لا، يعني أن ما فعل له ليس بقضاء، ولا بقدر، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وكذلك ناظر الخوارج عمر بن عبد العزيز وأفحمهم، وهو الذي يروى عنه أنه قال لهم: الذين نقلوا لنا القرآن هم الذين جاؤوا بتأويله، أي بتفسيره.

قال رحمه الله:

٤٦١٣ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَعِيدٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: أَخْبَرَنِي [حدثنا] أَبُو صَخْرٍ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ» (١).

هجره ابن عمر، وترك مكاتبته؛ لعلمه بضلاله.

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٠٦١)، وأحمد حديث رقم: (٥٦٣٩).

٤٦١٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ قَالَ: «قُلْتُ: لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَخْبِرْنِي عَنْ آدَمَ أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ لِلْأَرْضِ؟ قَالَ: لَا بَلْ لِلْأَرْضِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوِ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الشَّجَرَةِ. قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [سورة الرعد: ١-١٦٣] قَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَفْتِنُونَ بِضَلَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَحِيمَ.

إذًا الناس يعودون إلى ما في القدر، إلى ما قدره الله عليهم، إلا أن هنا فائدة هل يؤاخذ الناس بما سُطر عليهم في اللوح المحفوظ أم تكون المؤاخذة لهم بما عملوه وفعلوه؟ بما عملوه وفعلوه، إذًا هذه المسألة، يعني حين يأتي واحد يقول لك: كيف قدر الله عليهم؟ كيف كتب عليهم ويعذبهم؟ الله ﷻ إنما كتب علمه، «**اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة**»، لكن ما يلحقهم من النعيم أو العذاب هو على أعمالهم، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٢]، ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤]، وهكذا الكفار.

قال رحمه الله:

٤٦١٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنِ الْحَسَنِ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} قَالَ: خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ.

(**خالد**) الحذاء.

كما في حديث عبد الله بن عمرو أيضا: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧].

٤٦١٦ - حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَنْبَأَنَا [أَخْبَرَنَا] خَالِدٌ الْحَذَّاءُ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الصافات: ١٦٢-١٦٣] قَالَ: إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ يَصْلَى الْجَحِيمَ.

هو الذي يزيغه الشيطان، يخذله الله ويزيغه الشيطان.

٤٦١٧ - حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ قَالَ: أَخْبَرَنِي [أَنْبَأَنَا] حُمَيْدٌ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: لَأَنْ يُسْقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الْأَمْرُ بِيَدِي.

الأمر بيد الله، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٩] ويريد الحسن أن الذي يقول: الأمر بيدي ينفي القدر، يذهب إلى نفي خلق الله لأفعال العباد، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر: ٦٢].

قال رحمه الله:

٤٦١٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا الْحَسَنُ مَكَّةَ، فَكَلَّمَنِي فُقَهَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ يَوْمًا يَعِظُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ: نَعَمْ. فَاجْتَمَعُوا فَخَطَبَهُمْ [فخطب]، فَمَا رَأَيْتُ أَخْطَبَ مِنْهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَلَقَ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ؟ خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ. قَالَ الرَّجُلُ: قَاتَلَهُمُ اللهُ، كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ؟

(يَعِظُهُمْ فِيهِ) يخطبهم، فيه حرص السلف على العلم ومجالسه.

(فَمَا رَأَيْتُ أَخْطَبَ مِنْهُ) كان بليغا ﷺ، يقولون: السبب أنه رضع من ثدي أم سلمة رضي الله عنها.

(خَلَقَ اللهُ الشَّيْطَانَ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ، وَخَلَقَ الشَّرَّ) ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦]، أي الذي تعملون، الله خالق كل صانع وصنعته.

(كَيْفَ يَكْذِبُونَ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ؟) يعني أنهم قد انتحلوا الحسن البصري وزعموا أنه معهم في بدعتهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فالذي يقول: الله لم يخلق الشر، نقول له: من خلق الشيطان؟ فإن قال: الله قلنا: إذا الشيطان رأس الشر، ورأس البلية، وإن قالوا: لم يخلقه الله كفروا، كذبوا القرآن، الشيطان نفسه يقول: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [سورة الأعراف: ١٢].

قال رحمه الله:

٤٦١٩ - حَدَّثَنَا ابْنُ كَثِيرٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنِ الْحَسَنِ ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سورة الحجر: ١٢] قَالَ: الشِّرْكُ.

وهذا دليل على أن الله فعال لما يريد وأنه خالق الخير والشر، يهدي من يشاء فضلا ويضل من يشاء عدلا.

٤٦٢٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ غَيْرِ ابْنِ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُبَيْدٍ الصَّيدِ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سورة سبأ: ٥٤] قَالَ: بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ.

٤٦٢١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمٌ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ بِالشَّامِ فَنَادَانِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَوْنٍ، مَا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُونَ عَنِ الْحَسَنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى الْحَسَنِ كَثِيرًا.

قال رحمه الله:

٤٦٢٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: نَا حَمَّادٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ يَقُولُ: كَذَبَ عَلَى الْحَسَنِ ضَرْبَانِ مِنَ النَّاسِ: قَوْمٌ الْقَدَرُ رَأْيُهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُنَفِّقُوا بِذَلِكَ رَأْيَهُمْ، وَقَوْمٌ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ شَنَآنٌ وَبُغْضٌ، يَقُولُونَ: أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا، أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِهِ كَذَا؟

(وهم يريدون أن ينفقوا بذلك رأيهم) يعني انتحلوا الحسن من أجل أن يصدقهم الناس.

(أليس من قوله كذا؟) يريدون أن يزهدوا فيه الناس، نسأل الله السلامة والعافية ما أكثر الذين يكذبون في هذا الزمان! لا سيما على الدعاة إلى الله ﷻ ويقولونهم ما لم يقولوا.

قال رحمه الله:

٤٦٢٣ - حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى أَنَّ يَحْيَى بْنَ كَثِيرٍ الْعَنْبَرِيَّ حَدَّثَهُمْ قَالَ: كَانَ قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ لَنَا: يَا فِتْيَانُ لَا تُغْلَبُوا عَلَى الْحَسَنِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَأْيُهُ السُّنَّةَ وَالصَّوَابَ.

يعني يأمر بالتعلم من الحسن، وكان على السنة يدافع عنه.

٤٦٢٤ - حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: نَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الْحَسَنِ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ لَكَتَبْنَا بِرُجُوعِهِ كِتَابًا، وَأَشْهَدْنَا عَلَيْهِ شُهُودًا، وَلَكِنَّا قُلْنَا: كَلِمَةٌ خَرَجَتْ لَا تُحْمَلُ.

يعني اشتهر بين الناس أنه قدري وليس بقدري؛ لأن القدر كان في البصرة ظاهر والحسن كان بعيد عنه، وإنما خرج القدر من تحت واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد من باب، وهم قد انعزلوا مجلس الحسن، كانوا من طلاب الحسن وانعزلوا مجلسه.

قال رحمه الله:

٤٦٢٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ: مَا أَنَا بِعَائِدٍ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا.

من الكلام الذي يوهم إلى نفي القدر.

٤٦٢٦ - حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عُثْمَانَ الْبَتِّيِّ قَالَ: مَا فَسَّرَ الْحَسَنُ آيَةً قَطُّ إِلَّا عَلَى الْإِثْبَاتِ.

يعني إثبات القدر.

قال: اعلم أن هذه الروايات كلها أي من حديث أبي كامل عن إسماعيل، إلى حديث هلال بن بشر، عن عثمان بن عثمان وهو أحد عشر حديثا ليست من رواية اللؤلؤي، ولذا لم يذكرها المنذري، بل هذه كلها من رواية ابن الأعرابي، و أبي بكر بن داسة، ذكره الحافظ جمال الدين المزي في (الأطراف)، والله أعلم.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي التَّفْضِيلِ

أي التفضيل بين الصحابة، والعقيدة في ذلك، وهذا من المهمات، إذ أن الناس منهم من كفر الصحابة جملة، ومنهم من تعصب لبعضهم على بعض، ومنهم من ربما غلا فيهم حتى عبد قبورهم، ومنهم أهل السنة والجماعة، وهم الذين أنزلوهم منازلهم، فيرون الحق الذي للصحابة، والحق الذي لآل البيت.

الواجب علينا في شأن الصحابة:

الأول: الترضي عليهم.

الثاني: الدعاء لهم.

الثالث: الكف عما شجر بينهم.

الرابع: ذكر محاسنهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦٢٧ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدثنا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حدثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ [نفاضل] بَيْنَهُمْ (١).

وهذا الحديث أقرهم عليه النبي ﷺ، فهو حجة في فضيلة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، الثلاثة أقرهم النبي ﷺ عليه، والرابع أجمع الناس عليه،

(١) هذا اللفظ أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٩٨)، وهو عند أحمد حديث رقم: (١٩٣٨).

انظروا إلى هذا الشأن، ومع ذلك تجد من يخالف من الرافضة قاتلهم الله أنى يؤفكون، بل إنه بلغ بهم الأمر أن لا يروا لهؤلاء فضلا ولا منزلة أصلا.

قال رحمه الله:

٤٦٢٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حدثَنَا عَنْبَسَةُ، حدثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنهم.

قال الخطابي في (المعالم): وجه ذلك، والله أعلم، أنه أراد به الشيوخ وذوي الأسنان منهم الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان علي رضي الله عنه في زمان رسول الله ﷺ حديث السن ولم يرد ابن عمر الازراء بعلي ولا تأخيره ودفعه عن الفضيلة بعد عثمان وفضله مشهور ولا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة، وإنما اختلفوا في تقديم عثمان عليه، فذهب الجمهور من السلف إلى تقديم عثمان عليه [1]، وذهب أهل الكوفة إلى تقديم علي على عثمان. قال: وللمتأخرين في هذا مذاهب، منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحابة، وبتقديم علي من جهة القرابة، وقال قوم: لا يقدم بعضهم على بعض. وكان بعض مشائخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل.

(١) بل ربما يصير إجماعا، قال عبد الرحمن بن عوف: لم أرهم يعدلون بعثمان أحد.

هذا غير صحيح، أبو بكر خير وأفضل وأعلم بالله وبرسوله وبدينه، بل إن علي بن أبي طالب كما في البخاري يسأل: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر، قال له ابنه: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

قال رحمه الله:

٤٦٢٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، ثَنَا سُفْيَانُ، ثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، ثَنَا أَبُو يَعْلَى، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ: لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، قَالَ: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ ثُمَّ مَنْ فَيَقُولَ: عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبَتِ. قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١).

انظر إلى ولده يعلم أنه سيقول: عثمان، ظن راجح عنده.

وهذا على سبيل التواضع منه مع العلم بأنه حين المسألة خير الناس بلا نزاع، لأنه بعد قتل عثمان رضي الله عنه.

قال رحمه الله:

٤٦٣٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ، ثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي الْفِرْيَابِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، رَضِيَ اللهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٧١).

وما أسوأ قائل هذا القول ومعتقد هذا الاعتقاد، إذ يخطأ إجماع الصحابة بما فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ) رفض وكفر، لاسيما إذا اقترن به البعض، واقترن به الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم.

قال رحمه الله:

٤٦٣١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، ثَنَا قَبِيصَةُ، ثَنَا عَبَّادٌ السَّمَّاكُ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنهم.

(عباد) مجهول، ومع ذلك كثير من العلماء قد أدخل عمر بن عبد العزيز، مع أن معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، معاوية صحابي، وشأنه ملازمة الخير، وكثير من المطاعن التي فيه لا أساس لها.

قال رحمه الله:

باب ما قيل في الخلفاء (بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ)

٤٦٣٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، حدثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ مُحَمَّدٌ: كَتَبْتُهُ مِنْ كِتَابِهِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا [أَخْبَرَنَا] مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ ظُلَّةً يَنْطِفُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ بِأَيْدِيهِمْ، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَخَذْتَ بِهِ

فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ فَعَلَا بِهِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي وَأُمِّي لَتَدَعَنِّي فَلَأُعْبُرَنَّهَا. فَقَالَ: «اعْبُرْهَا»، فَقَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا مَا يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَهُوَ الْقُرْآنُ لِينُهُ وَحَلَاوَتُهُ، وَأَمَّا الْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ فَهُوَ الْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ مِنْهُ وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ بَعْدَكَ رَجُلٌ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، أَيْ رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّي أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ فَقَالَ: «أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» فَقَالَ: أَقْسَمْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَتُحَدِّثَنِّي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُقْسِمْ»(١).

(محمد بن يحيى بن فارس) وهو الذهلي، إمام في الحديث وإمام في السنة، (عبد الرزاق) وهو ابن همام الصنعاني، (عبيد الله بن عبد الله) أحد الفقهاء السبعة، (عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) أحد العبادلة الأربعة.

(ظُلَّةً) سحابة لها ظل.

(يَتَكَفَّفُونَ بِأَيْدِيهِمْ) يأخذون، (فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ) يعني بعضهم يملأ يده وبعضهم يأخذ قليلا، (وَأَرَى سَبَبًا) حبلا.

(١) الحديث متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٧٠٤٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٢٦٩)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٩٣)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩١٨)، وأحمد حديث رقم: (٢١١٤).

(فَأَرَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ) الأجل، علا إلى الله ﷻ في الرفيق الأعلى، كما قال ﷺ.

(ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ) الرجل الأول هو أبو بكر، والرجل الثاني هو عمر، والرجل الثالث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، (ثُمَّ وُصِلَ فَعَلَا بِهِ) قال: يعني أن عثمان كاد أن ينقطع عن اللحاق بصاحبيه بسبب ما وقع له من تلك القضايا التي أنكروها فعبر عنها بانقطاع الحبل ثم وقعت له الشهادة فاتصل فالتحق بهم، قاله القسطلاني.

بهذا الحديث استدل العلماء على أنه لا يجب إبرار المقسم دائما إلا فيما فيه مصلحة شرعية، أو لم يكن فيه مضرة.

قال: اختلف العلماء في تعيين موضع الخطأ، فقيل: أخطأ لكونه عبر السمن والعسل بالقرآن فقط وهما شيئان وكان من حقه أن يعبرهما بالقرآن والسنة، وقيل غير ذلك، والأولى السكوت في تعيين موضع الخطأ، بل هو الواجب، لأنه ﷺ سكت عن بيان ذلك مع سؤال أبي بكر رضي الله عنه.

قال النووي: قيل: إنما لم يبر النبي ﷺ قسم أبي بكر لأن إبرار القسم مخصوص بما إذا لم يكن هناك مفسدة ولا مشقة ظاهرة، قال: ولعل المفسدة في ذلك ما علمه من انقطاع السبب بعثمان وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المريبة فكره ذكرها خوف شيوعها، انتهى.

فإن قيل: لو كان معنى فينقطع قتل لكان سبب عمر مقطوعا أيضا، قيل: لم ينقطع سبب عمر لأجل العلو، إنما هو قطع لعداوة مخصوصة، وأما قتل عثمان من

الجهة التي علا بها وهي الولاية فجعل قتله قطعا، وقوله: ثم وصل، يعني بولاية علي، وقيل: إن معنى كتمان النبي ﷺ موضع الخطأ لئلا يحزن الناس بالعارض لعثمان، وفيه جواز سكوت العابر وكتمه عبارة الرؤيا إذا كان فيها ما يكره وفي السكوت عنها مصلحة.

الشاهد أن هذا الحديث ساقه المصنف؛ لبيان أن الخلافة تكون بعد النبي صل الله عليه وسلم في أبي بكر، ثم في عمر، ثم في عثمان، ثم في علي رضي الله عنهم جميعا، وهي خلافة راشدة.

قال رحمه الله:

٤٦٣٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حدثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ: فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَهُ

(سليمان بن كثير) روايته عن الزهري ضعيفة.

٤٦٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، حدثَنَا الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ [ثُمَّ وُزِنَ] أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (١).

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٤٠)، وأحمد حديث رقم: (١٩٩٣٢).

قال: وذلك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور وظهور الفتن بعد خلافة عمر، ومعنى رجحان كل من الآخر أن الراجح أفضل من المرجوح.

قيل: يحتمل أن يكون النبي ﷺ كره وقوف التخيير، وحصر درجات الفضائل في ثلاثة ورجا أن يكون في أكثر من ذلك فأعلمه الله أن التفضيل انتهى إلى المذكور فيه فساءه ذلك.

قال رحمه الله:

٤٦٣٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟» فَذَكَرَ مَعْنَاهُ وَلَمْ يَذْكُرِ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَ: فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْنِي فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ» (١).

(علي بن زيد) بن جدعان، ضعيف.

٤٦٣٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ»، قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا تَنَوُّطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ.

(١) وأخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٤٤٥).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ يُونُسُ وَشُعَيْبٌ، لَمْ يَذْكُرَا عَمْرًا.

(نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ) أي وُزن برسول الله ﷺ.

عمرو بن أبان بن عثمان لم يوثقه غير ابن حبان، فالحديث ضعيف.

٤٦٣٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ[1].

(عفان بن مسلم) وهو الصفار.

(بِعَرَاقِيهَا) هي أعواد يخالف بينها، ثم تشد في عرى الدلو، وتعلق بها الحبل واحدتها عرقوة.

(حَتَّى تَضَلَّعَ) أي امتد جنبه وضلوعه.

(وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ) أي شيء من الماء.

قال الخطابي: وأما قوله في أبي بكر فشرب شربا ضعيفا، فإنما هو إشارة إلى قصر مدة أمر ولايته وذلك أنه لم يعش بعد الخلافة أكثر من سنتين وشيء وبقي عمر عشر سنين وشيئا، فذلك معنى تضلعه، والله أعلم.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٧٣٠).

٤٦٣٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ، نَا الْوَلِيدُ، نَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: لَتَمْخُرَنَّ الرُّومُ الشَّامَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا إِلَّا دِمَشْقَ وَعَمَّانَ.

كأن مراده بهذه الآثار في هذا الباب بيان انقضاء الخلافة وظهور الفتن بعد زمان الخلفاء الراشدين، كما أخبر به النبي ﷺ كذا في (فتح الودود).

٤٦٣٩ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَامِرٍ الْمُرِّيُّ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْعَلَاءِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْأَعْيَسِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَلْمَانَ يَقُولُ: سَيَأْتِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ يَظْهَرُ عَلَى الْمَدَائِنِ كُلِّهَا إِلَّا دِمَشْقَ.

٤٦٤٠ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، نَا حَمَّادٌ، أَنَا بُرْدٌ أَبُو الْعَلَاءِ، عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَوْضِعُ فُسْطَاطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلَاحِمِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ»(١).

هذا حديث مرسل ضعيف، والغوطة اسم البساتين والمياه حول دمشق.

٤٦٤١ - حَدَّثَنَا أَبُو ظَفَرٍ عَبْدُ السَّلَامِ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرٌ، عَنْ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ مَثَلَ عُثْمَانَ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَقْرَؤُهَا وَيُفَسِّرُهَا ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة آل عمران: ٥٥] يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ وَإِلَى أَهْلِ الشَّامِ.

ضعيف مقطوع.

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٢٩٨).

ومقصود الحجاج من تمثيل عثمان رضي الله عنه بعيسى عليه السلام إظهار عظمة الشأن لعثمان ومن تبعه من أمراء بني أمية ومن تبعهم الذين كانوا في الشام والعراق وتنقيص غيرهم، يعني مثل عثمان كمثل عيسى عليه السلام ومثل متبعيه كمثل متبعيه، فكما أن الله تعالى جعل متبعي عيسى عليه السلام فوق الذين كفروا كذلك جعل متبعي عثمان رضي الله عنه من أهل الشام وأهل العراق فوق غيرهم، بحيث جعل فيهم الخلافة ورفعها عن غيرهم فصاروا غالبين على غيرهم.

قال رحمه الله:

٤٦٤٢ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الطَّالْقَانِيُّ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، (ح)، وأَخْبَرَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَالِدٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِلهِ عَلَيَّ أَلَّا أُصَلِّيَ خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا، وَإِنْ وَجَدْتُ قَوْمًا يُجَاهِدُونَكَ لَأُجَاهِدَنَّكَ مَعَهُمْ، زَادَ إِسْحَاقُ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: فَقَاتَلَ فِي الْجَمَاجِمِ حَتَّى قُتِلَ.

في إسناده الحجاج بن يوسف الثقفي، ليس أهلا لأن يروى عنه، وليس بثقة.

قال الشارح: والظاهر أن مقصود الحجاج الظالم عن هذا الكلام الاستدلال على تفضيل عبد الملك بن مروان وغيره من أمراء بني أمية على الأنبياء عليهم السلام بأن الأنبياء إنما كانوا رسلا من الله تعالى ومبلغين أحكامه فحسب، وأما عبد الملك وغيره من أمراء بني أمية فهم خلفاء الله تعالى، ورتبة الخلفاء يكون أعلى من الرسل، فإن كان مراد الحجاج هذا - كما هو الظاهر، وليس إرادته هذا ببعيد منه كما لا يخفى

على من اطلع على تفاصيل حالاته - فهذه مغالطة منه شنيعة تكفره بلا مرية، ألم يعلم الحجاج أن جميع الرسل خلفاء الله تعالى في الأرض؟ ولم يعلم أن جميع الأنبياء أكرم عند الله من سائر الناس؟ ولم يعلم أن سيد الأنبياء محمد ﷺ، سيد ولد آدم عليه السلام؟ ويلزم على كلامه هذا ما يلزم؛ فنعوذ بالله من أمثال هذا الكلام.

قال السندي: وكأنه أراد - نعوذ بالله تعالى من ذلك - تفضيل المروانيين على الأنبياء بأنهم خلفاء الله، فإن أراد ذلك فقد كفر حينئذ، وما أبعده عن الحق وأضله، نسأل العفو والعافية وإلا فلا يظهر لكلامه معنى انتهى.

قال رحمه الله:

٤٦٤٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ[1]، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاللهِ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللهِ لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللهِ حَلَالٌ [حلالا]، وَيَا عَذِيرِي مِنْ عَبْدِ هُذَيْلٍ يَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَتَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا هِيَ إِلَّا رَجَزٌ مِنْ رَجَزِ الْأَعْرَابِ، مَا أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ عليه السلام، وَعَذِيرِي مِنْ هَذِهِ الْحَمْرَاءِ يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرْمِي بِالْحَجَرِ، فَيَقُولُ إِلَى إِنْ يَقَعَ الْحَجَرُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، فَوَاللهِ لَأَدَعَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الدَّابِرِ، قَالَ: فَذَكَرْتُهُ لِلْأَعْمَشِ فَقَالَ: أَنَا وَاللهِ سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

(١) استثناء.

(وَيَا عَذِيرِي مِنْ عَبْدِ هُذَيْلٍ يَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَتَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ) يقصد ابن مسعود، من الذي يعذرني في أمره ولا يلومني؟ قاله السندي.

في إسناده الحجاج، وليس أهلا ليروى عنه، كان ظالم غاشم، بعضهم كفره وبعضهم ضلله، المهم كان ظالما غاشما فاجرا.

قال رحمه الله:

٤٦٤٤ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: هَذِهِ الْحَمْرَاءُ هَبْرٌ هَبْرٌ، أَمَا وَاللهِ لَوْ قَدْ قَرَعْتُ عَصًا بِعَصًا لَأَذَرَنَّهُمْ كَالْأَمْسِ الذَّاهِبِ، يَعْنِي الْمَوَالِيَ.

(هَذِهِ الْحَمْرَاءُ هَبْرٌ هَبْرٌ) يعني العجم والعرب.

يقتلهم، فاجر ما يبالي بأحد.

٤٦٤٥ - حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ: جَمَّعْتُ مَعَ الْحَجَّاجِ، فَخَطَبَ فَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ فِيهَا: فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لِخَلِيفَةِ اللهِ وَصَفِيِّهِ [لصفيه] عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَلَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ، وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْحَمْرَاءِ.

فيه شريك، وفيه أشياء كثيرة، وكان المصنف لو ترك هذه الرواية عن الحجاج الحجاج أقواله غير مبالى بها ومنظور إليها، إلا على سبيل الانتقاد والذم، وهناك من الأحاديث في بيان حق الخلفاء الراشدين وخلفاء المسلمين ما يغني عن هذه الهذرمة التي ألقاها الحجاج.

قال الشارح: وهذه الآثار لا تستحق أن توضع في كتاب السنة. وإنما ساق المؤلف الإمام آثار هذا الرجل الفاسق لإظهار جوره وفسقه ولبيان أن أمراء بني أمية وإن صاروا خليفة متغلبا لكن ليسوا أهلا لها، وإنما هم الأمراء الظالمون لا الخلفاء العادلون والله أعلم.

هذا الكلام فيه نظر أيضا، منهم العادل، ومنهم الصحابي الفاضل، مثل معاوية بن أبي سفيان، لا يجوز أن يطعن فيه، ولا أن يتنقص من شأنه، وهكذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وهناك خلفاء بين ذلك، وخلفاء وقع فيهم النصب، نسأل الله السلامة والعافية، وإلا فقد قال النبي ﷺ: «**يكون الإسلام عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش**»، وهؤلاء الخلفاء الأربعة ثم من تبعهم من خلفاء بني أمية.

قال رحمه الله:

٤٦٤٦ - حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، نَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ».

قَالَ سَعِيدٌ: قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَيْ عَشَرَ، وَعَلِيٌّ كَذَا، قَالَ سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، قَالَ: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ، يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ (١).

(سعيد بن جمهان) حسن الحديث.

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٢٦)، وأحمد مختصرا حديث رقم: (٢١٤١٢).

هذا الحديث أعله ابن العربي وغيره بما ذكرنا من حديث جابر بن سمرة من أن «**يكون الإسلام عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة**»، ومع ذلك على القول بصحته سيكون هذا في الخلافة الراشدة، الخلافة الراشدة وتلك الخلافة بعد خلافتهم.

قال رحمه الله:

٤٦٤٧ - وأَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، الْمَعْنَى جَمِيعًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ» (١).

٤٦٤٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، عَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ، أَنْبَأَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ، وَسُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ(٢)**، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: ذَكَرَ سُفْيَانُ رَجُلًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ فُلَانٌ إِلَى الْكُوفَةِ أَقَامَ فُلَانٌ خَطِيبًا فَأَخَذَ بِيَدِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الظَّالِمِ فَأَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى الْعَاشِرِ لَمْ أَيْثَمْ، قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ آثَمُ، قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى حِرَاءٍ: «اثْبُتْ حِرَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ».**

---

(١) وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٦٤٦).

(٢) أعاد السند.

قُلْتُ: وَمَنِ التِّسْعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قُلْتُ: وَمَنِ الْعَاشِرُ؟ فَتَلَكَّأَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا (١).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنِ ابْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ.

هؤلاء يسمون بالعشرة المبشرين بالجنة؛ لأنهم ذكروا في حديث واحد، وإلا فإن النبي ﷺ قد بشر غيرهم، كثابت بن قيس بن شماس، والحسن والحسين، والرميصاء، وبلال، وعبدالله بن سلام.

قال رحمه الله:

٤٦٤٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ [النميري]، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحُرِّ بْنِ الصَّيَّاحِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ»، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ (٢).

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٠٩٠)، وابن ماجه حديث رقم: (١٣٤)، وأحمد حديث رقم: (١٦٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٠٩١)، وابن ماجه حديث رقم: (١٣٣).

(فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا) يعني ذكره بالسوء، وهؤلاء النواصب.

وأيضا يضاف عبيدة بن الجراح، العشرة.

٤٦٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، أَخْبَرَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْمُثَنَّى النَّخَعِيُّ، حَدَّثَنِي جَدِّي رِيَاحُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ فُلَانٍ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَجَاءَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَرَحَّبَ بِهِ وَحَيَّاهُ وَأَقْعَدَهُ عِنْدَ رِجْلِهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ: قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُ فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيًّا، قَالَ: أَلَا أَرَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ؟ أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ فَيَسْأَلَنِي عَنْهُ غَدًا إِذَا لَقِيتُهُ -: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ» وَسَاقَ مَعْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ (١).

يعني فضل الصحبة، لا يعدلها شيء، ولهذا فضل العلماء المحققون معاوية ﷺ على عمر بن عبد العزيز، بل لم يتركوا للمفاضلة مجالا، قال عبد الله بن المبارك لما سئل أيهم أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ قال: معاوية صلى خلف النبي ﷺ، فلما قال النبي ﷺ: «**سمع الله لمن حمده**»، قال معاوية: اللهم ربنا ولك الحمد.

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٦٢٩).

وفعلا شرف الصحبة لا يوازيه شيء، وقد تكلمت على فضائل الصحابة رضوان الله عليهم بتوسع في عدة من كتبي، منها: (سلامة الخلف على طريقة السلف)، وهكذا شرحي على حائية ابن أبي داود، وغير ذلك من الكتب.

قال رحمه الله:

٤٦٥١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، (ح)، وأَخْبَرَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» (١).

النبي هو محمد ﷺ، والصديق أبو بكر، والشهيدان: عمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال رحمه الله:

٤٦٥٣ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الرَّمْلِيُّ، أَنَّ اللَّيْثَ حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ [لا يدخل النار من بايع] تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٢).

الليث عن أبي الزبير ما حالها؟ قال أبو عثمان: غير مقبولة إلا في صحيح مسلم رواية الليث عن أبي الزبير ترفع عنه التدليس؛ لأن الليث لما جاء إلى أبي الزبير قال:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٧٥)، والترمذي حديث رقم: (٤٠٣٠)، وأحمد حديث رقم: (١٢١٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٤١٩٧)، وأحمد حديث رقم: (١٤٧٧٨).

أخرج لي الكتاب الذي سمعته من جابر وميز لي الأحاديث التي لم تسمعها من جابر، فأخذ منه ما سمعه، وترك ما لم يسمع، فروايته سواء في صحيح مسلم أو في غير صحيح مسلم ثابتة لا غبار عليها، عنعن أو صرح.

(بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) وكانوا فوق ألف وأربعمائة ودون ألف وخمسمائة، الذين قال الله عنهم: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨]، ﷺ وأبغضتهم الرافضة ﷺ وأبغضهم الخوارج، ﷺ وأبغضت بعضهم النواصب لعن الله البدعة كيف تأتي على أصحابها، وتغير الفطر السليمة، والعقائد المستقيمة إلى أسوأ ما يكون، النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»، عارضته بعض زوجاته، قالت: كلا والله أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم: ٧١]، قال: «**لا تمسهم النار إلا تحلت القسم**».

قال رحمه الله:

٤٦٥٤ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، (ح)، وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا [أَنْبَأَنَا] حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ مُوسَى: «فَلَعَلَّ اللهَ -

وَقَالَ ابْنُ سِنَانٍ: - اطَّلَعَ اللهُ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١).

ساق المصنف هذه الأحاديث؛ لبيان فضائل الصحابة على الإجمال، أما من حيث الإجمال فالمهاجرون أفضل من الأنصار، ثم من آمن قبل الفتح وهو صلح الحديبية أفضل ممن آمن بعد الفتح، ثم اختلف في أيهم أفضل أصحاب بدر أم أصحاب بيعة الرضوان؟ والذي يظهر أن أصحاب بيعة الرضوان أفضل من حيث صريح الدليل في علو منزلتهم، وأصحاب بدر أفضل من حيث السابقية، والله أعلم.

واختلفوا أيضا في أصحاب أحد وأصحاب الخندق، والذي يظهر أن أصحاب أحد أفضل من أصحاب الخندق، وفي الجملة كل الصحابة أصحاب منازل رفيعة.

قال رحمه الله:

٤٦٥٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ ثَوْرٍ حَدَّثَهُمْ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ: فَأَتَاهُ يَعْنِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَتِهِ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا [قالوا]: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ(٢).

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٩٨٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٩٤)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٠٥)، وأحمد حديث رقم: (٦٠١)، والدارمي حديث رقم: (٢٧٦١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٣٤)، وأحمد حديث رقم: (١٨٤٤٩).

قال: ما زلت أمشي في غدرتك؛ لأن المغير من شعبة قتل بعض من كان معه في الطريق، فقبل النبي ﷺ منه الإسلام ولم يقبل منه ما جاء به من المتاع.

وفي الحديث جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو، ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر.

قال رحمه الله:

٤٦٥٢ - حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الدَّالَانِيِّ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ مَوْلَى آلِ جَعْدَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرَائِلُ عليه السلام فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي».

أبو خالد مولى آل جعد مجهول، والدالاني فيه كلام، وأبو بكر له من السابقية الشيء الكثير.

٤٦٥٦ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيَّ أَخْبَرَهُمْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ، عَنِ الْأَقْرَعِ مُؤَذِّنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَعَثَنِي عُمَرُ إِلَى الْأُسْقُفِّ فَدَعَوْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ تَجِدُنِي؟ قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا، قَالَ: فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ فَقَالَ: قَرْنٌ مَهْ؟ فَقَالَ [فقال: قرن؟ قال: مه مه، قال]: قَرْنٌ حَدِيدٌ أَمِينٌ شَدِيدٌ. قَالَ: كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي يَجِيءُ مِنْ بَعْدِي؟ فَقَالَ: أَجِدُهُ خَلِيفَةً صَالِحًا غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ فَقَالَ عُمَرُ:

يَرْحَمُ اللهُ عُثْمَانَ، ثَلَاثًا، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي بَعْدَهُ؟ قَالَ: أَجِدُهُ صَدَأَ حَدِيدٍ، قَالَ: فَوَضَعَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: يَا دَفْرَاهُ، يَا دَفْرَاهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ خَلِيفَةٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ حِينَ يُسْتَخْلَفُ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالدَّفْرُ النَّتْنُ.

(الْأُسْقُفِّ) يعني عالم النصارى.

الأقرع لا يعرف، والدفران: النتن، هذا لا يثبت وما كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعتمد حكاية النصراني في أمور غيبية، ومعلوم أن النصارى قد غيروا وبدلوا في كتبهم.

قرأنا خيرا كثيرا في شأن الخلافة، وبقي شيء من شأن الصحابة رضى الله عليهم إن شاء الله في دروس أخرى، نسأل الله السلامة والعافية والعون، وتجد أن أكثر العلماء يذكر في فضائل الصحابة جل ما يكتب في باب السنة، جل ما يكتب في باب السنة يذكرونه يذكرون فيه باب الصحابة للرد على من جفاهم وقلاهم.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي فَضْلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

أي على الإجمال، وإلا فقد تقدم ذكر بعض فضائلهم على الإفراد، كفضائل الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهكذا بقية العشرة المبشرين بالجنة.

قال رحمه الله:

٤٦٥٧ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا [أَنْبَأَنَا] (ح)، وأَخْبَرَنَا مُسَدَّدٌ نَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا؟ «ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

(زرارة بن أوفى) قالوا: قرأ قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [سورة المدثر: ٨] فأخذته شهقة فمات.

وقوله: (خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ) أي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) أي يقربونهم في الرتبة أو يتبعونهم في الإيمان والإيقان، وهم التابعون لهم بإحسان.

وقوله: (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وهم أتباع التابعين.

والصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على ذلك، ولو تخللت ردة على الصحيح.

والتابع: هو من لقي الصحابي، وهو مؤمن النبي ﷺ.

وتابع التابعي: هو من لقي التابعين.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٦٥١)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٣٥)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٧١)، والنسائي حديث رقم: (٤٧٣٢)، وأحمد حديث رقم: (١٩٨٢٠)، وجاء بمعناه عن عبد الله بن مسعود، وعن عائشة، وعن أبي هريرة رضي الله عنهم جميعا، وكلها في الصحيح.

وفي الحديث: «**يأتي قوم فيفتح لهم فيقول: هل فيكم من رأى النبي ﷺ؟ يقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو قوم فيقال: هل فيكم من رأى من رأى النبي ﷺ؟ يقولون: نعم، فيفتح لهم**» الحديث.

وهذه القرون تسمى بالقرون المفضلة، وهم ذروة السلف، إذ الخير فيهم ظاهر والشر بينهم مقهور بائر، ولذلك كانت البدعة إذا ظهرت في زمن الصحابة رضوان الله عليهم أي ممن هم بعدهم يرد عليها الصحابي وتندثر، تموت، ابن عمر رد على بدعة القدرية، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتل الخوارج وقتل الروافض، وهكذا فكانوا يعوذون إلى الصحابة رضوان الله عليهم فيجدون عندهم الحل، وعندهم القول الصائب.

ثم لما كان عصر التابعين بدأت البدع تظهر، مع ظهور السنة، وفي عصر تابعي التابعين بدأت البدعة تظهر، مع كذلك فشو العلماء والسنة، فلما كان بعد ذلك فشت البدع، وصار لها أتباع وأعوان، ومن أحسن من تكلم عن هذه المسألة وتدرج الناس في ذلك ابن القيم رحمه الله في كتابه (الصواعق المرسلة).

قال: (ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ) أي يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم، وما الفرق بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ: «**خير الشهود الذي يأتي بالشهادة قبل أن تطلب منه**» أخرجه مسلم وهو عن زيد بن خالد؟ قالوا: الذم في حق من بادر بالشهادة ولا حاجة إليها، أو لم يتعين وقتها، والمدح في من أدى الشهادة حتى لا يضيع الحق.

(وَيَنْذِرُونَ) ينذرون لله ﷻ بالقرب (وَلَا يُوفُونَ) وهذا حال كثير من الناس الآن، تجد أنهم ينذرون في أي مسألة تنزل بهم، سواء نذر مقابل أو غير مقابل، ثم بعد ذلك يسألون عن طرق التحلل من هذا النذر، وبعضهم لا يبالي.

(وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ) تظهر فيهم الخيانة وعدم الأمانة، يتشبهون بالمنافقين بحيث أنهم يخونون خيانة ظاهرة.

(وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ) من أكلهم المال بالباطل، والتوسع في المآكل والمشارب وقيل: كني به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

٤٦٥٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

قال أبو سعيد: حدثنا العطاردي، أخبرنا أبو معاوية، وذكر الحديث (١).

هذا حديث عظيم، النبي ﷺ قاله فيما وقع بين خالد رضي الله عنه وهو من أصحابه وبين عبد الرحمن بن عوف، إلا أن عبد الرحمن بن عوف كانت له السابقية، وخالد رضي الله عنه إنما آمن بعد الفتح، أي بعد صلح الحديبية، فإذا كان النبي ﷺ يقول لخالد: «لا

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٦٧٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٤١)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٤١٩٨)، وابن ماجه حديث رقم: (١٦١)، وأحمد حديث رقم: (١١٠٧٩).

تسبوا أصحابي» مع أن خالد ﷺ صحابي جليل فكيف بمن يأتي بعدهم ويتعرض لهم بالتنقص ونحوه؟

(فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ) كف ملء جمع اليدين، المد هو أن يجمع الكف ثم يأتي بملئه، (وَلَا نَصِيفَهُ) وهو حفنة باليد، أي لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الأجر والفضل ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [سورة الحديد: ١٠].

قال رحمه الله:

٤٦٥٩ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، أَخْبَرَنَا زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ الثَّقَفِيُّ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ الْمَاصِرُ [الماص]، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ[1] وَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَى حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ

(١) الفارسي.

فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَرْضَى فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُورِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ [إلى يوم القيامة» (١)، وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَى عُمَرَ.

قال أبو داود: قبل وبعد كله جائز.

(بِالْمَدَائِنِ) في العراق.

(حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ) أي أنه ثقة ينقل عن النبي ﷺ.

(مَبْقَلَةٍ) مزرعة بقل.

(قبل وبعد كله جائز) أي كفارة اليمين.

كأن عمار رضي الله عنه ينكر عن حذيفة التحديث ببعض الأحاديث التي فيها ذكر أسماء بعضهم، أو كذلك أوصاف بعضهم؛ لأن النبي ﷺ ربما كما قال سلمان: تكلم في الرضا، وتكلم في الغضب، ومع ذلك حذيفة صاحب السر صاحب سر النبي ﷺ، إذا قد أطلعه الله ﷻ على أسماء بعض المنافقين.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٣٧٢١).

بَابٌ فِي اسْتِخْلافِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه

وهل كان استخلافه بالنص أم بالإشارة؟ أم أن الصحابة هم الذين اختاروه؟ هذه مسائل اختلف فيها، والصحيح أن خلافته كانت بالنص غير الجلي، ما نقول بالنص الجلي أنه قال: خليفتهم هو أبو بكر رضي الله عنه، ولكن قدمه في الصلاة، وقال لتلك المرأة: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»، وقول النبي ﷺ: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، إلى غير ذلك.

قال رحمه الله:

٤٦٦٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ»، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَمْعَةَ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ، قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ، وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا قَالَ: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ (١).

(اسْتُعِزَّ) اشتد به المرض.

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٩٠٦).

٤٦٦١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ أَخْبَرَنَا [حدثني] مُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ زَمْعَةَ أَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَا، لَا، لَا، لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ»، يَقُولُ ذَلِكَ مُغْضَبًا.

في إسناده موسى بن يعقوب الزمعي، قال النسائي: ليس بالقوي، وفي إسناده أيضا عبد الرحمن بن إسحاق، ويقال: عباد بن إسحاق، وقد تكلم فيه غير واحد.

بمعنى أن الحديث ضعيف، لكن قد جاء حديث في الصحيحين: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»، حيث قال لعائشة: «**اعطيني أكتب كتابا**»، وهذا هو المشار اليه في حديث ابن عباس الذي شغلنا الرافضة من أجله أن النبي ﷺ لم يكتب بسبب أن عمر رضي الله عنه قال: هجر النبي ﷺ، هو الخلافة لأبي بكر؛ لأن النبي ﷺ قال لعائشة: «**ابغيني كتابا حتى أكتب كتابا**»، ثم قال: «**يأبى الله والمؤمنين إلا أبا بكر**»، وترك الكتابة.

قال رحمه الله:

بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ فِي الْفِتْنَةِ

أي الفتنة التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم، ووقع فيها من القتل والقتال، وسفك الدماء ونحو ذلك.

٤٦٦٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ وَمُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَا: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، (ح)، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: نَا الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي»، وَقَالَ عَنْ حَمَّادٍ: وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ(١).

هذا حديث عظيم، ومن دلائل نبوة النبي ﷺ.

قال الشارح: هما طائفة الحسن وطائفة معاوية وكان الحسن رضي الله عنه حليما فاضلا ورعا دعاه ورعه إلى أن ترك الملك رغبة فيما عند الله تعالى لا لقلة ولا لعلة، فإنه لما قتل علي رضي الله عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا فبقي خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان ستة أشهر وأياما ثم سار إلى معاوية في أهل الحجاز وسار إليه معاوية في أهل الشام، فلما التقيا - الجمعان - بمنزل من أرض الكوفة وأرسل إليه معاوية في الصلح أجاب على شروط: منها أن يكون له الأمر بعده، وأن يكون له من المال ما يكفيه في كل عام. كذا في (السراج المنير).

قال: فيه دليل على أن واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام لأن النبي ﷺ جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبة والأخرى مخطئة، وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأي

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٠٤)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٤١٠٧)، والنسائي حديث رقم: (١٧٣٠)، وأحمد حديث رقم: (٢٠٣٩٢).

ومذهب إذا كان له فيما تناوله شبهة، وإن كان مخطئا في ذلك، واختار السلف ترك الكلام في الفتنة الأولى وقالوا: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث به ألسنتنا. كذا في (المرقاة) نقلا عن (شرح السنة).

قال رحمه الله:

٤٦٦٣ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، أَنْبَأَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ، إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ».

٤٦٦٤ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا لَا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ شَيْئًا، قَالَ: فَخَرَجْنَا فَإِذَا فُسْطَاطٌ مَضْرُوبٌ، فَدَخَلْنَا فَإِذَا فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْصَارِكُمْ حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ.

أي تجلت وتبينت، يقال للشمس إذا خرجت من الكسوف: تجلت وانجلت، وهو انفعال من التجلية، والتجلية التبيين.

قال الزجاج في قوله تعالى: {إذا جلاها} إذا بين الشمس، فكأن المعنى حتى تزول الفتن عن تبينها وظهورها.

قال رحمه الله:

٤٦٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ ضُبَيْعَةَ بْنِ حُصَيْنٍ الثَّعْلَبِيِّ بِمَعْنَاهُ.

ضبيعة مجهول.

٤٦٦٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهُذَلِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ: أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا، أَعَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ، لَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْتُهُ (١).

(أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا) يعني إلى معاوية.

قيل: أي إلى بلاد العراق لقتال المعاوية أو مسيرك إلى البصرة لقتال الزبير رضي الله عنهم، وبيانه كما قال ابن سعد أن عليا رضي الله عنه بويع بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم، ويقال: إن طلحة رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة، فبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وهي وقعة الجمل، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما، وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا، وقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام.

لا يقال هذا القول: خرج، يترك هذه الألفاظ أحسن، وندع الصحابة فيما جرى بينهم، فكلهم في الحشر مغفور لهم.

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٧١).

قال رحمه الله:

٤٦٦٧ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا [تقتلها] أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ» (١).

المارقة هي الخوارج، وقتلهم أولى الطائفتين بالحق وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدل على أن الطائفة الأخرى من الصحابة ومن كان معها التي قاتلت عليا ما كانت عن الحق، وأما المارقة فإنما كانت من الفرقة الباطلة لا منها، ومع ذلك قال النبي ﷺ: «**أولى الطائفتين بالحق**»، أقرب الطائفتين إلى الحق، معناه أن معاوية رضي الله عنه كان عنده نوع تأويل ونوع حق، لكن الحق الصريح كان في صف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كان الخليفة الأعظم، وكان المتعين أن يسمع له ويطاع، ثم يطالبون بدم عثمان رضي الله عنه، والأمر إلى أمير المؤمنين ينظر المصلحة الشرعية.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام

٤٦٦٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا وُهَيْبٌ، أَخْبَرَنَا عَمْرٌو يَعْنِي ابْنَ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ» (١).

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٦٥)، وأحمد حديث رقم: (١١١٩٦).

لكن هل هذا على إطلاقه لا يفاضل بين الأنبياء مع أن النبي ﷺ أفضلهم وهكذا بقية أولي العزم من الرسل وهم إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام؟ للعلماء في هذا أقوال:

القول الأول: أن النبي ﷺ قال هذا قبل أن يوحى إليه بالتفضيل.

القول الثاني: أن النبي ﷺ قال هذا على التواضع.

القول الثالث: أن النبي ﷺ نهى عن التفضيل إذا كان يفضي إلى تنقص بعضهم، وإذا كان يصدر عن الجدال ونحو ذلك، وهذا هو الصواب؛ لأن في الحديث قال رجل من اليهود: والذي اصطفى موسى على العالمين، فغضب المسلم ولطمه، وقال: والذي اصطفا محمدا على العالمين، فالنهى إذا كان على سبيل التنقص، وإلا فقد قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣].

قال رحمه الله:

٤٦٧١ - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ، أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى، فَرَفَعَ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٤١٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٧٤)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (١١٢٦٥).

الْمُسْلِمُ يَدَهُ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ [رسول الله] ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ [أو] كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى» (١).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَحَدِيثُ ابْنِ يَحْيَى أَتَمُّ.

(فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ) أي يوم القيامة.

(فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ) في رواية: «قوائم العرش»، وهذا دليل على دليل على أن العرش ليس هو العلم، كما يقول بعضهم، أو الملك كما يقول بعضهم، بل هو جرم له قوائم، وله ظل، ويحمل.

٤٦٧٣ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» (٢).

أبو داوود ساق هذا؛ لبيان أن النبي ﷺ هو أفضل الأنبياء والمرسلين.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٤١١)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٧٣)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٢٦)، وأحمد حديث رقم: (٧٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٧١٢)، ومسلم حديث رقم: (١٩٤)، وهو عند ابن ماجه حديث رقم: (٤٣٠٨)، وأحمد حديث رقم: (١٠٩٧٢).

قال النووي رحمه الله: في الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم (١)، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل من الآدميين وغيرهم. وأما الحديث الآخر لا تفضلوا بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه:

الأول: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبا وتواضعا.

وذكر باقي الأجوبة، من شاء الاطلاع فليرجع إلى (شرح صحيح مسلم) له.

قال رحمه الله:

٤٦٦٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» (٢).

يحمل على معنيين: إما أن يقول: النبي ﷺ خير من يونس بن متى يريد به تنقص يونس فهذا لا يجوز، وإلا فالنبي ﷺ خير من يونس بن متى.

والمعنى الثاني: أنه يقول عن نفسه: أنا خير من يونس بن متى؛ لأن يونس خرج مغاضبا عليه السلام، فهذا أيضا لا يجوز، فيونس بن متى نبي رسول، لا يجوز التنقص له.

قال: هو اسم والد يونس، وقيل: هو اسم أمه، والصحيح الأول، وإنما قال ﷺ ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك

---

(١) يعني صالحي البشر أفضل من الملائكة.

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٣٩٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٧٧)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٣١٦٩).

فلا إشكال، وإنما خص يونس عليه السلام بالذكر لما قص الله في كتابه من أمر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الإجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨]، وقال: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الصافات: ١٤٢]، فلم يأمن ﷺ أن يقع تنقيص له في نفس من سمع قصته فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة.

قال رحمه الله:

٤٦٧٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْحَرَّانِيُّ، أَخْبَرَنَا [حدثني] مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» (١).

الحديث فيه كلام؛ لعنعنة ابن إسحاق.

٤٦٧٢ - حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ يَذْكُرُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام» (٢).

أي أن المشار إليه بخير البرية إبراهيم، وإلا فالنبي ﷺ خير البرية.

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٤١٢).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣٧٣)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٣٥٢٦)، وأحمد حديث رقم: (٧٥٨٦).

٤٦٧٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَسْقَلَانِيُّ وَمَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ الشَّعِيرِيُّ الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ [تبع ألعين] هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا».

قال الشارح: قال الحافظ أبو الفضل العراقي في أماليه في رواية الحاكم في المستدرك بدله: «وما أدري ذا القرنين نبيا كان أم لا»، وزاد فيه: «وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا»، ورويناه بتمامه بذكر تبع وعزير وذي القرنين والحدود في تفسير ابن مردويه من رواية محمد بن أبي السري عن عبد الرزاق، قال: ثم أعلم الله نبيه أن الحدود كفارات وأن تبعا أسلم. كذا في (مرقاة الصعود).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الدخان: أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا، ولا أدري تبع لعينا كان أم لا، ولا أدري ذو القرنين نبيا كان أم ملكا**».

وقال غيره: عزير أكان نبيا أم لا، كذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني عن عبد الرزاق.

قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق.

ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس ﷺ مرفوعا: «عزير لا أدري أنبيا كان أم لا، ولا أدري ألعن تبعا أم لا»، ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته.

وقال قتادة: ذكر لنا أن كعبا كان يقول في تبع: الرجل الصالح، ذم الله تعالى قومه ولم يذمه، قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لا تسبوا تبعا؛ فإنه قد كان رجلا صالحا.

يذكرون أنه أول من كسى الكعبة، وأنه دخل في دين اليهودية على يد رجلين من يهود وجدهم في المدينة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي - قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا تبعا فإنه قد كان أسلم**»، ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به [1].

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، ثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة، ثنا مؤمل بن إسماعيل[2]، حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة[3]، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا تبعا فإنه قد أسلم**».

وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أدري تبع نبيا كان أم غير نبي**»، وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر: «**لا أدري تبع كان لعينا أم لا**».

قال رحمه الله:

---

(١) وهو ضعيف، ابن لهيعة ضعيف.

(٢) ضعيف، لكنه يشهد له ما قبله.

(٣) وهذه رواية مضطربة.

٤٦٧٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» (١).

والمعنى كما قال الشارح: أخص الناس به وأقربهم إليه؛ لأنه بشر بأنه يأتي من بعده.

(الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ) بفتح فتشديد أي هم إخوة من أب واحد، فإن العلة الضرة وبنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى.

والمعنى أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وفروع الشرائع مختلفة، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

(وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ) قال الحافظ: هذا أورده كالشاهد لقوله إنه أقرب الناس إليه.

بهذا نكون قد انتهينا مما يتعلق بالصحابة، وكذلك يتعلق بالمفاضلة بين الأنبياء وسيأتي الكلام على بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب العقيدة.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٤٤٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٦٥)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٧٥٢٩).

بَابٌ فِي رَدِّ الإِرْجَاءِ (باب الرد على المرجئة)

الإرجاء مأخوذ من التأخير، ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٦] أي: مؤخرون، سموا بهذا الاسم؛ لأنهم أرجأوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقيل: لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي.

وهم أربع فرق: الفرقة الأولى: مرجئة الجهمية، والفرقة الثانية: مرجئة الكرامية، والفرقة الثالثة: مرجئة الماتريدية، والفرقة الرابعة: مرجئة الفقهاء، بل ذهب شيخ الإسلام كما في (الإيمان الأوسط) إلى ذكر اثني عشر فرقة منهم، لكن هذه أصولها.

ولمعرفة طريق المرجئة لابد أن نعرف قبل ذلك مذهب أهل السنة في الإيمان، الإيمان عند أهل السنة: هو الإقرار على القول الصحيح، وقيل: التصديق، هذا من حيث اللغة، واخترنا الإقرار؛ لأن الإقرار تصديق وزيادة، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام في كتابه (الإيمان).

وأما من حيث الاصطلاح الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وقد نقل الشافعي الإجماع على هذا التعريف، وهكذا نقله البغوي، وغير واحد من أهل العلم.

فأهل السنة يرون أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح، ويرون أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويستحبون الاستثناء في الإيمان، بمعنى إذا سئلت أمؤمن أنت؟ تقول: إن شاء الله، ويجمعون على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فالصلاة من الإيمان، والحج من الإيمان، والزكاة من

الإيمان، وإماطة الأذى من الإيمان، ويأتي حديث أبي هريرة ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

وأما المرجئة فعلى التقسيم السابق: مرجئة الجهمية يرون أن الإيمان هو المعرفة فقط، فمن عرف الله فهو مؤمن، وإن لم يصدق، وإن لم يتكلم، وإن لم يعمل، فعلى تعريفهم هذا إبليس مؤمن؛ لأنه عرف الله، وفرعون مؤمن؛ لأن الله يقول في حقه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [سورة النمل: ١٤]، واليهود مؤمنون؛ لأن الله ﷻ يقول عنهم: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٦]. وهو مذهب رديء، مذهب الإرجاء.

قال إبراهيم: لأنا على الأمة من المرجئة أخوف من عِدَّتهم من الخوارج، فمن اعتقد دينهم ما بالى بالمعاصي ولا بالسيئات ولا بالإجرام، عندهم أكبر فاسق على إيمان جبرائيل وميكائيل.

وأما مرجئة الكرامية فالإيمان عندهم النطق، والاعتقاد شيء زائد، فعلى قولهم يكون المنافقون من المؤمنين، فالمنافقون نطقوا بالإيمان، وعملوا بالإيمان، كانوا يصلون خلف النبي ﷺ، وربما يجاهدون، وغير ذلك من الأعمال وقد سماهم الله ﷻ أنهم في الدرك الأسفل من النار؛ لفسوقهم وكفرهم وكذبهم.

ومرجئة الماتريدية يرون أن الإيمان في القلب، تصديق القلب والنطق شيء زائد، فمعناه لو واحد صدق في قلبه وإن لم يقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول عندهم مؤمن كامل الإيمان، ويلزمهم على هذا أن يكون فرعون مؤمن، كما

قلنا في حق الجهمية؛ لأن فرعون صدق بقلبه ولم يؤمن بلسانه وجوارحه، قال الله ﷻ في شأنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢]، فلم يقل فرعون: أنت تكذب علي في هذا القول، بل سكت مقرا.

وأما مرجئة الفقهاء وهم أصحاب أبي حنيفة ومن وافقه كمحمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف يعقوب وحماد بن أبي سليمان فيرون أن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب، ولا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان.

قال البربهاري رحمه الله: فمن قال: بأن الإيمان قول عمل يزيد وينقص فقد برئ من الإرجاء بالكلية، يعني مع اعتقاده في دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

وقال عبد الله بن المبارك لما قال له بعض الخوارج: مرجئي على كبر سنك؟ قال: يا بني المرجئة ما تقبلني، أنا أقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم لا يقولون بذلك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أصل الإرجاء ترك الاستثناء.

إذا قيل لأحدهم: أمؤمن أنت؟ قال: نعم، ويرون أن الاستثناء كفر، ويسمون أهل السنة بالشكاكة، والصحيح أن أهل السنة حين يقولون: أنا مؤمن إن شاء الله ليس على الشك، وإنما على التبرك بذكر الله، أو على ما يكون من حسن الخاتمة، أو على عدم الجزم، أو غير ذلك من الأوجه.

وقد تكلم السلف على المرجئة في كتبهم محذرين، ومن أولئك عبد الله بن أحمد في (السنة)، واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة)، وأغلب كتاب الإيمان من (صحيح البخاري) رد على المرجئة، ولذلك افتتح الكتاب بقوله: باب الإيمان قول وعمل، أي قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وذكر الآيات

التي جاءت في الزيادة والنقصان، والمرجئة لا يرون الزيادة والنقصان، يقولون: الإيمان واحد، زيادته ونقصانه كفر، بل جاءوا بحديث في ذلك لا يصح، مخالف للثوابت عن النبي ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة المدثر: ٣١] ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة التوبة: ١٢٤]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [سورة مريم: ٧٦]، إلى غير ذلك، وقال الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣].

فإن لم يكن كامل فهو ناقص، وقال النبي ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الصالح في إحداكن**»، هذا أثبت نقصان الدين وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، وقال النبي ﷺ: «**أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن حبة خردل من إيمان، أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من إيمان، أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان**».

وفي الجانب الآخر الخوارج الذين يكفرون بمطلق الكبيرة، وأهل السنة هم العدل الخيار، فعندهم أن فاعل الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وعندهم أنه فاعل الكبيرة تحت المشيئة إن مات عليها، ويؤمنون بحديث النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

وأما الخوارج فيرون أن فاعل الكبيرة كافر، كفرا أكبر مخرج من الملة، والمرجئة يرون أن فاعل الكبيرة إيمانه على إيمان جبرائيل ميكائيل، أو على إيمان

أبي بكر وعمر، رأى أحدهم امرأة ترقص فقال: الخيبة لمن يعتقد أن إيمان هذه كإيمان مريم بنت عمران.

قال رحمه الله:

٤٦٧٦ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ [بضعة] وَسَبْعُونَ، أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ [الأذى] عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١).

(موسى بن إسماعيل) وأبو سلمة التبوذكي.

(الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ) وفي رواية: «**وستون**» وهي التي رجحها الحافظ في (التفح)، «**شعبة**».

(أَفْضَلُهَا) في صحيح مسلم: «أعلاها»، وهذا دليل على أن الإيمان يكون بالقول ويكون بالاعتقاد؛ لأنه إذا قالها ولم يعتقد ما صح إيمانه.

(وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْعَظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ) وهذا عمل بالجوارح.

(وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) وهذا عمل بالقلب.

---

(١) الحديث متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٩)، ومسلم حديث رقم: (٣٥)، لكن عند البخاري: (ستون) بدل (سبعون)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٨٠١)، والنسائي حديث رقم: (٥٠١٩)، وابن ماجه حديث رقم: (٥٧)، وأحمد حديث رقم: (٨٩٢٦)، وهذا لفظ مسلم، متفق عليه بغير هذا اللفظ.

قال الخطابي في (المعالم): في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم بمعنى ذي شعب وأجزاء لها أعلى وأدنى، وأقوال وأفعال، وزيادة ونقصان، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها، وتستوفي جملة أجزائها كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها، ويدل على صحة ذلك قوله الحياء شعبة من الإيمان فأخبر أن الحياء أحد الشعب، وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاتهم.

بينما المرجئة يزعمون أن الإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، فرد عليهم الشيخ ابن باز رحمه الله في (العقيدة الطحاوية)، وقال: في هذا الإطلاق نظر.

قال رحمه الله:

٤٦٧٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ» (١).

(وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ) هو الذي أتى إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة، وهم قبيلة عظيمة تنتهي إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٣)، ومسلم مطولا حديث رقم: (١٧)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٢٦١١)، والنسائي حديث رقم: (٥٠٤٦)، وأحمد مطولا حديث رقم: (٢٠٢٠).

وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة وهنا مسألة لم نذكرها قبل، وهي المسألة الخامسة من مسائل الإيمان، فمسائل الإيمان خمس مسائل: الأولى: تعريف الإيمان، الثانية: الزيادة والنقصان، الثالثة: دخول الأعمال في مسمى الإيمان، الرابعة: الاستثناء في الإيمان، الخامسة: العلاقة بين مسمى الإيمان ومسمى الإسلام، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ في هذا الحديث فسر الإيمان بالإسلام، بينما إذا اجتمع وقيل: فلان مؤمن مسلم فالإيمان على الأعمال القلبية: «**أن تؤمن بالله وملائكة، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، والإسلام على أعمال الجوارح: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**».

قال رحمه الله:

٤٦٧٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1].

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٢)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٢٨٠٦)، والنسائي حديث رقم: (٣٢٨)، وابن ماجه حديث رقم: (١٠٧٨)، وأحمد حديث رقم: (١٤٩٧٩)، والدارمي حديث رقم: (١٢٣٣).

واختلف في تكفير تارك الصلاة الفرض عمدا، قال عمر رضي الله عنه: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقال ابن مسعود: تركها كفر، وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

وقد نقل إجماع الصحابة على تكفيره، وأما المتأخرون فجمهورهم يرون أنه لا يكفر إلا الجاحد لها، بينما المتكاسل لا يلحقه ذلك، والصحيح أن الحكم عام في الجاحد والمتكاسل؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من تركها فقد كفر**»، ولم يفرق، وقال النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة المدثر: ٤٢-٤٣].

قال رحمه الله:

بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ

قال الحافظ: ذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وأنكر ذلك أكثر المتكلمين وقالوا: متى قبل ذلك كان شكا.

قال الشيخ محيي الدين: والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة.

الإيمان يزيد وينقص ككل، سواء التصديق وغير التصديق، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والعجب أنهم يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينفص والإنسان يجد من نفسه، إذا أقبل على الصلاة والصيام وقراءة القرآن والدعاء ولازم حلقات العلم

يجد زيادة، حتى الناس ينظرون إليه هذا يقول: هذا مؤمن قوي الإيمان، وإذا تاع في المعاصي نقص إيمانه.

قال رحمه الله:

٤٦٨٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] (١).

في رواية سماك عن عكرمة اضطراب.

الحديث في البخاري عن البراء، وفيه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم، فالصلاة من الإيمان.

قال رحمه الله:

٤٦٨١ - حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلهِ، وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطَى لِلهِ وَمَنَعَ لِلهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٢٠٢)، وأحمد حديث رقم: (٢٦٩١)، والدارمي حديث رقم: (١٢٣٥).

(مَنْ أَحَبَّ لِلهِ) شيئا أو شخصا، (وَأَبْغَضَ لِلهِ) شيئا أو شخصا، (وَأَعْطَى لِلهِ) أعطى يرجو ثواب الله، مستقيما على أمر الله.

وفي المأثور عن سلمان: ثلاث من استكملهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

قال رحمه الله:

٤٦٧٩ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»، قَالَتْ: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَأَمَّا نُقْصَانُ الدِّينِ فَإِنَّ إِحْدَاكُنَّ تُفْطِرُ رَمَضَانَ وَتُقِيمُ أَيَّامًا لَا تُصَلِّي» (١).

فيه شؤم فتنة النساء على الرجال، يقول النبي ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ»، هذا هو الشاهد أن الدين ينقص لتركت الطاعات، حتى وهي معذورة، تركت الصلاة لعذر الحيض، وتركت الصيام لعذر الحيض، ليس عليها إثم، لكن ليست هي كمن يصلي ويصوم في الأجر.

قال النووي رحمه الله: وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض قد يستشكل معناه، وليس بمشكل بل هو ظاهر، فإن الدين والإيمان

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٠٤)، ومسلم حديث رقم: (٨٠)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٣)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٠٠٣)، وأحمد حديث رقم: (٥٣٢١).

والإسلام مشتركة في معنى واحد، وقد قدمنا أن الطاعات تسمى إيمانا ودينا، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه، ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به كمن ترك الصلاة أو غيرها من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه لا إثم فيه كمن ترك الجمعة أو غيرها مما لا يجب عليه لعذر، وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم. انتهى كلام النووي.

قال رحمه الله:

٤٦٨٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (١).

معناه أن سيء الخلق ليس بكامل الإيمان، عندهم من نقص الإيمان بقدر سوء خلقه.

٤٦٨٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، (ح)، وَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ قَسْمًا فَقُلْتُ: أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمٌ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطَاءَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ» (٢).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١١٩٦)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٢٥٩)، وأحمد حديث رقم: (٧٤٠٢)، والدارمي حديث رقم: (٢٧٩٢).

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٧)، ومسلم حديث رقم: (١٥٥).

(قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ قَسْمًا) أي في غزوة من الغزوات.

(أَوْ مُسْلِمٌ) بمعني لا تقل: مؤمن، بل مسلم، ففيه فرق بين المؤمن والمسلم من حيث أن المؤمن هو الذي يثنى عليه بهذا اللقب، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وإلا كل مؤمن مسلم، كل مسلم مؤمن، وإلا لم يكن مسلما، لكن أحيانا الإيمان يطلق على الثناء، فيقولون: ما شاء الله فلان مؤمن، يعني محافظ على الصلاة والصيام، ويتصدق، بار بوالديه، محسن إلى جيرانه.

وأحيانا يطلق ويراد به أنه ليس بكافر، كأن يقول لك قائل: اعتق رقبة مؤمنة تذهب السوق تجد عبدا سارقا زانيا فاجرا، ما وجدت إلا هو، يجزئ أن تعتقه أو لا يجزئ؟ يجزئ، ولكن لا يثنى عليه باسم الإيمان.

(إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطَاءَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ) يعني أن النبي ﷺ يعطيهم تألفا، بهذا الحديث استدل من استدل من أهل العلم على التفريق بين مسمى الإيمان ومسمى الإسلام، فبعضهم ذهب إلى أن الإيمان غير الإسلام وبعضهم ذهب أن الإيمان هو الإسلام، وبعضهم فصل: الإيمان والإسلام إذا فترقا اجتمعا في المعنى، وإذا اجتمع افترقا، الإيمان على الأعمال الباطنة، والإسلام على الأعمال الظاهرة.

قال رحمه الله:

٤٦٨٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ وَأَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»، حَتَّى أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» (١).

(أَوْ مُسْلِمٌ) كأنه ينكر عليه لم يتحقق الإيمان في قلبه تحقق الإيمان في غيره، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

(إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا) كما فعل النبي ﷺ في غزوة حنين، أعطى قريش، أعطى المؤلفة قلوبهم وترك الأنصار، وهم أحب إليه.

(مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أي يتألفهم.

قال رحمه الله:

٤٦٨٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [سورة الحجرات: ١٤] قَالَ: نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَلِمَةُ وَالْإِيمَانَ الْعَمَلُ [به].

قال الخطابي في (المعالم): ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقد ذهب إلى ما حكاه معمر عنه واحتج بالآية، وذهب غيره إلى أن الإيمان والإسلام شيء واحد، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٧)، ومسلم حديث رقم: (١٥٠)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٧٠٠٥)، وأحمد حديث رقم: (١٥٢٥).

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٣٥-٣٦] قال: فدل ذلك على أن المسلمين هم المؤمنون؛ إذ كان الله سبحانه قد وعد أن يخلص المؤمنين من قوم لوط وأن يخرجهم من بين ظهراني من وجب عليه العذاب منهم، ثم أخبر أنه قد فعل ذلك بمن وجده فيهم من المسلمين إنجازا للوعد، فثبت أن المسلمين هم المؤمنون.

قال: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا، ولا يطلق على أحد الوجهين: وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، فإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها. وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، وقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن ولا مصدق، وقد يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر، انتهى.

لكن شيخ الإسلام في هذه الآية قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٣٥-٣٦] ذهب إلى معنى غير هذا المعنى الذي ذكره الخطابي، قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٣٥] أي: سلم من العذاب لوط وبناته، هؤلاء الذين سلموا، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٣٦] لما كان يدخل في مسمى البيت زوجة لوط، وكانت من المنافقين، في الظاهر أنها مع زوجها وفي الباطن مع قومها.

قال رحمه الله:

٤٦٨٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (١).

في هذا دليل على أن الأعمال تنقص بالمعاصي، وفيه دليل على كفر دون كفر، رد على الخوارج الذين يكفرون بمطلق المعصية، قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، سماه أخ مع أنه قد قتل، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الحجرات: ٩]، سماهم مؤمنين مع مقاتلتهم، بينما هم عند الخوارج كفار، وعند المرجئة كاملوا الإيمان، وعند أهل السنة فساق، من خالف أمر الله، وقاتل وقَتل.

قال رحمه الله:

٤٦٨٧ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، نَا جَرِيرٌ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنْ كَانَ كَافِرًا وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ» (٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٨٦٨)، ومسلم حديث رقم: (٦٦)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢١٩٣)، والنسائي حديث رقم: (٤١٣٦)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩٤٣)، وأحمد حديث رقم: (٥٥٥٣)، والدارمي حديث رقم: (١٩٢١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١٠٤)، ومسلم بنحوه حديث رقم: (٦٠)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٧)، وأحمد حديث رقم: (٥٧٩٠)، ومالك حديث رقم: (١٨٤٤).

لكن ليس معناه كفر يخرج من الملة، كفر دون الكفر، عاصي لتكفيره للمسلمين بغير وجه حق.

كل هذه رد على المرجئة ويدخل فيها الرد على الخوارج، المرجئة عندهم لا يضر مع الإيمان شيء، والنبي ﷺ يقول: «**لا ترجعوا بعدي كفارا**»، فدل على أن إيمانهم ينقص ويضعف، وهكذا من كفر مسلما، «**فإن كان كذلك وإلا حارت عليه**».

٤٦٨٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ، وَمَنْ كَانَتْ [كان] فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ [كانت] فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (١).

هذا الحديث دليل على ما يسمى بالنفاق العملي، أي أن هذه الأعمال أعمال المنافقين، والنوع الثاني من النفاق: النفاق الاعتقادي، وهو التكذيب في الباطن أو الشك أو غير ذلك.

قال رحمه الله:

٤٦٨٩ - حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْأَنْطَاكِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٤)، ومسلم حديث رقم: (٥٨)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٢)، والنسائي حديث رقم: (٥٠٣٥)، وأحمد حديث رقم: (٦٧٢٩).

وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ» (١).

قال النووي: والصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وإنما تأولناه لحديث أبي ذر: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**» إلخ. وإن شئت الوقوف على تمام كلامه فارجع إلى (شرح صحيح مسلم) له.

جاء في رواية: أن الإيمان يرفع فوقه كالظلة سيأتي، فلا يزني الزاني حين يزني وهو كامل الإيمان، ولا يسرق حين يسرق وهو كامل الإيمان، مراقب لربه ظاهرا وباطلا، وإنما يفعل ذلك العاصي، العاصي ضعيف الإيمان، ضعيف الاستقامة، ضعيف المراقبة، من تسلط عليه الشيطان، وابن عباس كان يقول لغلمانه: من شاء زوجناه، ويذكر لهم نحوه هذا الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

قال رحمه الله:

٤٦٩٠ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَنْبَأَنَا نَافِعٌ يَعْنِي ابْنَ يَزِيدَ حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٨١٠)، ومسلم حديث رقم: (٥٧)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٨١٣)، والنسائي حديث رقم: (٧٣١٥)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩٣٦)، وأحمد حديث رقم: (٧٣١٨)، والدارمي حديث رقم: (٢١٠٦).

يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ [عنه] الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ» (١).

أخرجه البخاري: قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزع منه الإيمان؟ قال: هكذا - وشبك بين أصابعه ثم أخرجها - فإذا تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه، وأخرج الحاكم من طريق ابن حجيرة أنه سمع أبا هريرة يقول: من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه، كذا في (فتح الباري).

انتهينا من باب الرد على المرجئة وما يتعلق بهم، وانظروا أن هذا الباب الذي نقرؤه هنا باسم السنة قد ذكره بعض أهل العلم باسم الإيمان، وذكره بعضهم باسم الشريعة، وهو باب واحد.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الْقَدَرِ

من التقدير، والإيمان به فرض لازم، وهو أحد أركان الإيمان الستة، كما سيأتي حديث جبريل، والقدر هو سر الله، لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، والإيمان به: أن تعتقد أن الله تعالي خالق أعمال العباد خيرها وشرها، وأنه كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، وأن ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه بكل شيء عليم، فهو قائم على مراتب أربع:

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٢٥).

الأولى: العلم، قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

الثانية: الكتابة، قال الله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

الثالث: المشيئة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة التكوير: ٢٩].

الرابع: الخلق، قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦].

وخالف في هذا الباب طائفتان، طائفة إلى الغلو، وطائفة إلى الجفاء، أما أصحاب الغلو فهم الجبرية الجهمية ومن إليهم من الأشاعرة، حيث زعموا أن الإنسان مجبور على فعله، وهو مع الله ﷻ كالريشة في مهب الريح أو كالميت بين يدي المغسل، عطلوه من قدرته وفعله واستطاعته.

وأما الذين هم في الطرف الثاني فالقدرية المعتزلة، الذين عطلوا الله ﷻ من قدرته وخلقه ومشيئته واستطاعته، وغلوا في إثبات ذلك للعبد، فصار العبد عندهم هو الخالق لفعل نفسه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وأما أهل السنة فتوسطوا، حيث اعتقدوا أن لله ﷻ علما ومشيئة وكتابة وخلقا، وأن الإنسان المخلوق لا يمكنه الخروج من هذا الشيء، وأثبتوا فعل العبد وأثبتوا مشيئة العبد، وأثبتوا استطاعة العبد، فالعبد إنما ينعم أو يعذب على فعل نفسه قال الله ﷻ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٢]، وكذلك في شأن الكفار: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾.

وكان مبدأ القدرية نفي العلم، ظهروا في زمن عبد الله بن عمر، وأكفرهم، كما سيأتي معنا من حديث عمر في قولهم: إن الأمر أُنُف، أي أن الله لا يعلمه إلا بعد أن يقع، ثم بعد أن فضحوا تستروا وازعموا أن الله ﷻ يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وهذا قول محدث باطل، فالله بكل شيء عليم، ثم ما من شيء في هذا العالم العلوي أو السفلي إلا وهو جزئي، إذ أن الكليات إنما تكون في الأذهان لا في الأعيان، فعلم بذلك فساد القوم.

والذي جعل الجبرية وكذا القدرية يصلون إلى ما وصلوا إليه زعمهم تنزيه الله ﷻ، فغلوا في الإثبات وغلوا في النفي، بينما نحن نؤمن أن الله ﷻ بكل شيء عليم، وأن ما من شيء يقع في هذا العالم العلوي والسفلي إلا وهو على مقتضى حكمته، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

وأما المسألة التي افترضوها وهي وجوب فعل الأصلح للعبد فهذا كلام باطل يخالفه المعقول والمنقول، فليس بواجب إن دللت أحدا على الخير أن تعينه عليه وإنما الإعانة هي محض فضل، قال الشاعر:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعيا لديه ضائع
إن نعموا فبفضله أو عذبوا فبعدله وهو الكريم الواسع

فيهدي ﷻ من يشاء فضلا، ويضل من يشاء عدلا.

وسبب ضلال الجبرية أنهم أخذوا بأدلة إثبات القدر ولم ينظروا إلى أدلة ما يتعلق بأفعال العباد، وسبب ضلال القدرية أنهم ذهبوا إلى إثبات ما يتعلق بأفعال العباد ولم ينظروا إلى الأدلة التي فيها إثبات القدر، بينما أهل السنة نظروا إلى

مجموع الأدلة، فمثلا قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة التكوير: ٢٩] الجبرية استدلوا بهذه الآية على نفي مشيئة العبد، مع إن الله ﷻ أثبت للعبد في هذه الآية مشيئة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فالعبد يشاء.

وأيضا قول الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال: ١٧]، قالوا: هذه الآية تدل على أن الرامي هو الله، وفي الآية رد عليهم، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد: ما سددت {إذ رميت} الحصى، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال: ١٧]: سدد، فأثبت الله لمحمد ﷺ رميا وفعلا، وهكذا في جميع الأمور.

قال رحمه الله:

٤٦٩١ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بِمِنًى عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ» (١).

سموا بالمجوس؛ لأن المجوس يزعمون أن للكون خالقَين: النور والظلمة، بينما هؤلاء زعموا أن هناك عدة خالقين، فكل عبد يخلق فعل نفسه، فشابهوهم من هذه الحيثية حيث زعموا أن الله خالق الخير وأن العبد خالق الشر، مع أن الله هو الذي خلق الخير وخلق الشر.

هذا حديث منقطع، سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، لكن له شواهد.

قال رحمه الله:

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٥٥٨٤).

٤٦٩٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جِنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ».

عمرو مولى غفرة ضعيف، والرجل مجهول، ولكن كما ترا هو في الباب.

استدل العلماء بهذه الأحاديث على هجر أهل البدع، والنهي والنأي عنهم، حتى المجلس حين زعموا أن للكون خالقين: خالق النور وخالق الظلمة قولهم ممجوج مردود، قال الشاعر:

وكم في ظلام الليل عندك من يد تدل على أن المناوي تكذبُ

فعندهم الظلمة خالقة الشر، ومع ذلك كم من إنسان يدعو الله ﷻ في ظلام الليل فيفرج الله ﷻ كربته، ويقضي الله ﷻ حاجته، ويتجاوز الله ﷻ عن زلته، بل يقول النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جرف الليل الآخر**».

قال رحمه الله:

٤٦٩٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ زُرَيْعٍ وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ حَدَّثَاهُمْ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، أَخْبَرَنَا قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ،

جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»، زَادَ فِي حَدِيثِ يَحْيَى وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالْإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ [1].

هذا الحديث يرد على الذين يزعمون أن الجنس الأسود إنما كان من ولد حام ابن نوح؛ لأنه ضحك على أبيه فدعا عليه، الصحيح أنهم مخلوقون من الطينة، خرجوا من آدم على الطينة التي خلق منها آدم عليه السلام.

قوله: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ) متنوعة الألوان والأشكال.

(فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ) لأنه أبوهم، وما ذهب إليه بعضهم من المؤرخين الجدد من أن هناك سبع أراضين وكل أرض فيها جنس بشري مثل آدم وإنما لا يقع بينهم التواصل وإذا وصلت الأمة إلى مستوى التواصل مع ذلك الجنس فإن الله ﷻ يهلكهم كما أهلك قوم نوح حين وصلوا إلى ذلك الحال ثم قوم صالح وهود حين وصلوا إلى ذلك الحال هذا قول باطل، ففي الحديث أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم، «**يا آدم أخرج بعث النار**»، أي من بني آدم، قال: «**يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة**».

فإذًا طبائع الناس على قدر الأرض التي أخذوا منها، وعلى الإنسان أن يسعى في إصلاح نفسه، ما يعتمد على مثل هذا الحديث ويقول: أمشي على ما فيه، لا، الله ﷻ أنزل الأوامر وأنزل النواهي، فعلى الإنسان أن يكون طائعا لله.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣١٨٨)، وأحمد حديث رقم: (١٩٥٨٢).

قال رحمه الله:

٤٦٩٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ: سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ يُحَدِّثُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَبِيبٍ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْمِخْصَرَةِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا قَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا [كتب مكانها] مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً [سعيدة أو شقية»، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ لَيَكُونَنَّ إِلَى الشقاوة [الشِّقْوَةِ]، فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشِّقْوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلشِّقْوَةِ»، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل: ٥-١٠]».

(بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ) وهي مقبرة أهل المدينة، والغرقد نوع من الشجر كان في تلك الأرضية، فسميت به.

(وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ) يعني عصا أو قضيب صغير.

(فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْمِخْصَرَةِ فِي الْأَرْضِ) كأنه يفكر في شيء أو يتأمل في شيء.

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) من الرجال أو النساء، من الكبار أو الصغار، من البدو والحاضرة، وغير ذلك.

(مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ) مولودة، (إِلَّا قَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ) «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، فرغ الله من العباد ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى: ٧].

(إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً) موافق لحديث عبد الله بن مسعود: «**فيكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد**».

(فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ) هذا هو المخالفة للشرع؛ لأن القدر علم مفقود عنا لا ندري ما فيه، فأنت مطالب بالعلم الموجود غير مطالب بالعلم المفقود.

(اعْمَلُوا) أي بطاعة الله ﷻ، واجتنبوا نواهيه.

(فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ) لما خلق له، أي أهل السعادة سييسرون لعمل السعداء، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة.

(أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِلسَّعَادَةِ) يعني يسهلون ويهيئون.

الحسنى: الجنة، وقيل غير ذلك.

قال الطيبي: الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية، وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة، فلا يجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار، بل هي علامات فقط.

قال رحمه الله:

٤٦٩٥ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، أَخْبَرَنَا أَبِي، أَخْبَرَنَا كَهْمَسٌ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا

وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ اللهُ تَعَالَى لَنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَالْأَمْرُ أُنُفٌ، فَقَالَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا [ذهبا مثل أحد] فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ [لا نرى] أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا نَعْرِفُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللهِ [النبي] ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي [أتدري] مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (١).

(كهمس) هو ابن الحسن.

(كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ) يعني أول من قال به مطلقا وأشاعه، نسبة إلى جهينة، قبيلة من قضاعة.

(حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ) أو أنهم ح كانوا في حج وعمرة سواء.

(فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) رد الأمر إلى العلماء عند النوازل، فهذا من السلامة، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

(فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي) يعني أحطنا به.

(فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ) يعني أنا الذي أتكلم وهو يسمع.

(نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ) أهل الباطل لا يتركون الحق جملة، قد يصورون أنهم من أهل الحق، وانظر كيف يحرصون على القرآن وهم في منأى عن القرآن، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩]، ويقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٢٧٩٦)، والنسائي المرفوع منه، حديث رقم: (٥٠٠٥)، وابن ماجه المرفوع منه، حديث رقم: (٦٣)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٤).

(يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَالْأَمْرُ أُنُفٌ) يعني يزعمون أن الله لم يقدر أفعال العباد، وأن الأمر أنف لا يعلمه إلا بعد وقوعه.

(فَقَالَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ) وهذا تكفير من ابن عمر رضي الله عنه لمن أنكر العلم، (وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي)؛ لأنهم ليس لهم سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

(وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ) وهو الله عز وجل.

(فَأَنْفَقَهُ) أي في سبيل الله، (مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ) دليل على أنه ليس بمسلم، وإلا فإن الله يتقبل من المتقين، وهؤلاء ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣].

(حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ) أي خيره وشره أنه من الله، الخير من الله والشر من الله، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، لكن الشر ليس بالنسبة إلى الله شر؛ لأنه على علم الله وحكمته، فهو شر بالنسبة لنا، وأما بالنسبة إلى الله فليس بشر، وفي حديث علي رضي الله عنه: «**والشر ليس إليك**».

(ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) فيه سوق الدليل على ما تقول.

(فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ) أي ركبتي الرجل إلى ركبتي النبي ﷺ، (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ) أي على فخدي نفسه، ليس على فخذي النبي ﷺ كما يظنه بعضهم.

(أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ) أي ما أركان؟ وما حقيقته؟

(الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...) هذه أركان الإسلام الخمسة.

(قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ)؛ لأن السائل ما يدري، إنما يتعلم، لكن هذا دل على أنه كان صاحب معرفة.

(وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) أي من الله ﷻ، وهذه أركان الإيمان الستة.

(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) هذه تسمى عند العلماء بمراتب الدين، من الأعلى إلى الأدنى: الإحسان، ثم الإيمان، ثم الإسلام، ومن الأدنى إلى الأعلى: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، وركن الإحسان يدل على المراقبة لله ﷻ.

(مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) أي كلانا نجهلها.

(فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا) أي علاماتها.

(أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا) في آخر الزمان يكثر السبي، حتى تلد المرأة سيدتها.

(وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) أي يتفاخرون في البنيان، إما على ظاهره أنهم يتطاولون ويرفعون البنيان إلى السماء، كما هو حاصل الآن في كثير من مناطق الجزيرة، برج خليفة في دبي، وكذلك برج في الدوحة، وأبراج في مكة، وأبراج في الرياض، وغير ذلك من البلدان، يتطاولون في البنيان: من التطاول.

وله معنى آخر من التطاول وهو التفاخر، بحيث أنه يجعل بيته على هيئة عجيبة من الترتيبات، ومن العفش وغير ذلك.

هذا حديث يسمى بحديث جبريل، وقد شرحه شيخ الإسلام في كتاب يسمى ب(الإيمان الأوسط)، وربما سمي ب(شرح حديث جبريل).

قال رحمه الله:

٤٦٩٦ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَا: لَقِينَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَذَكَرْنَا لَهُ الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ، زَادَ قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَا نَعْمَلُ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ مَضَى، أَوْ [و] فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الْآنَ، قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَى»، فَقَالَ الرَّجُلُ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ [ييسرون] لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

يعني ليس هناك جبر وليس هناك شيء، كل ميسر لما خلق له، والإنسان يؤجر على عمله.

قال رحمه الله:

٤٦٩٧ - حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ يَعْمَرَ [يحيى بن يعمر] بِهَذَا الْحَدِيثِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ: فَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ» (١).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: عَلْقَمَةُ مُرْجِئٌ.

الشاهد من الحديث قوله: «الإيمان بالقدر خيره هو وشره».

(١) وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٦٩٥).

(عَلْقَمَةُ مُرْجِئٌ) يعني مذهبه مذهب الإرجاء، والمرجئة كانوا على قولين: القول الأول: إرجاء الأعمال عن المسمى الإيمان، والقول الثاني: إرجاء شأن الصحابة وما وقع بينهم.

قال رحمه الله:

٤٦٩٨ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَبِي فَرْوَةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ [يُجعل] لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ وَذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ وَذَكَرَ هَيْئَتَهُ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ

(دُكَّانًا) الدكة.

٤٦٩٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ [إياهم خيرا لهم] مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مَا قَبِلَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ

مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ[1].

(وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ) العودة إلى أهل العلم فيما يشكل، والإنسان قد لا يسلم من الطوارئ أن يقع في قلبه شيء من ذلك، لكن عليه أن يبادر بعلاجه، لا يستجري في الوسوسة حتى يستحكم منه الشيطان.

وهذا الحديث قد استدل به الجبرية على أن الله ﷻ يجوز له أن يعذب من شاء بغير ذنب، واستدلالهم هذا باطل، حتى قال السفاريني رحمه الله وتجاوز عنه في هذا:

وجاز للمولى يعذب الورى ... من غير ما ذنب ولا جرم جرى

وهذا كلام غير صحيح، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، إذًا ما هو المعنى الصحيح لهذا الحديث؟ المعنى الصحيح لهذا الحديث: أن الله ﷻ وأراد أن يؤاخذ الناس بما امتن عليهم من النعم وقاصها بأعمالهم لكانت أعمالهم ليست بشيء، ولكن الله ﷻ يتجاوز ويصفح، كما قال: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»، فليس معنى ذلك أن الله يعذب بدون ذنب وجريرة.

(وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ) ما أنت فيه قدره الله أزلا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٧٧)، وأحمد حديث رقم: (٢١٥٨٩)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا رحمه الله، حديث رقم: (٣٥٠).

(وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ) أي إذا مت على غير الإيمان بالقدر كنت من أهل النار.

قال رحمه الله:

٤٧٠٠ - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ الْهُذَلِيُّ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» (١).

وهذا الحديث دليل على الكتابة، وأن الله ﷻ قد كتب في اللوح المحفوظ كلما يتعلق بأعمال العباد.

قال رحمه الله:

٤٧٠١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، (ح)، وأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمَعْنَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ سَمِعَ طَاوُسًا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ [إنك] أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ

(١) أخرجه الترمذي بنحوه حديث رقم: (٢٢٩٤).

التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ [بيده التوراة] تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» (١).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ [قال] عَمْرٍو، عَنْ طَاوُسٍ: سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ.

هذا دليل على أن أعمال العباد وما يتعلق بهم قد كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ، وأن الناس يسيرون إلى ما قد قدر عليهم، لكن ليس فيه حجة على ترك العمل؛ لأنك لا تعلم ما كتب لك في اللوح المحفوظ، حتى تقول: أسير على ما فيه، لكنك تعلم أن الله ﷻ قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣]. وأمر بالصيام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران والأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، فالواجب عليك أن تعمل بما علمت، وتترك التنقيب عما لم تعمل، هذا هو المحك.

نقول لمن يحتج بالقدر: هل أنت تعلم ما في اللوح المحفوظ من أنك ما ستصلي أو ما ستصوم أو ما ستحج حتى تقول: أنا ما سأصلي؛ لأن الله ما كتب علي الصلاة؟ الصحيح أنه لا يدري بذلك ولا يعلم بذلك، لكن هل هو يعلم أن الله أمره بالصلاة؟ نعم يعلم، فالواجب عليه أن يعمل بما علم.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٦١٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٥٢)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٦٨)، وابن ماجه حديث رقم: (٨٠)، وأحمد حديث رقم: (٧٣٨٧)، ومالك في (الموطأ) حديث رقم: (١٦٦٠).

٤٧٠٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ: يَا رَبِّ أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللهُ آدَمَ فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟ فَقَالَ [قال]: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ؟ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فِيمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عليهما السلام».

(مِنَ الْجَنَّةِ) يعني جنة عدن، على الصحيح.

(أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ) من الأرواح التي عنده، لا يوصف الله بالروح، والملائكة سجدوا لآدم طاعة لله، ليس سجودا لغير الله، هو طاعة لله.

(الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ) إثبات صفت الكلام لله ﷻ، وقد قال الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١٦٤].

استدل بعضهم بهذا الحديث على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية وهذا الاستدلال فيه نظر، فإن آدم عليه السلام لم يستدل على فعل المعصية بالقدر وإنما استدل على خروجه من الجنة بالقدر.

ثانيا: آدم قد تاب من المعصية، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، أما أن تتبجح وتقول: قدر الله علي، هذا ما هو صحيح، إلا إذا كان الإنسان قد تاب وأناب ثم جاء أحدهم يعاتبه يقول: قدر الله عليه، كما قدر عليه الذنب قدر عليه التوبة.

قال رحمه الله:

٤٧٠٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ أَخْبَرَهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢] قَالَ: قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ الْآيَةَ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ [يسأل] عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ» (١).

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٣٠)، وأحمد حديث رقم: (٣١١)، ومالك في (الموطأ) حديث رقم: (١٦٦١).

وهذا حديث عظيم، وبه استدل من استدل من أهل العلم على أن الله ﷻ أخرج ذرية آدم من صَلبه، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق على طاعته وتوحيده، وذهب بعض أهل العلم إلى عدم ذلك، ومنهم ابن القيم رحمه الله، لكن الصحيح في هذه المسألة: أن الله أخرجهم حقيقة، كما في هذا الحديث، وجاء بنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهكذا حديث أنس في الصحيحين: «**يقول الله للعبد يوم القيامة: يا فلان، لو كانت لك الدنيا أكنت مفتديا بها؟ قال: نعم يا رب، قال قد سألتك أيسر من ذلك وأنت في صلب أبيك، فأبيت إلا الشرك**».

إلا أن العبد لا يؤاخذ على هذا العهد والميثاق، يوم القيامة ما يعذب على هذا العهد الميثاق، ولكن يعذب لتركه الحجة الرسالية التي أنزلها الله إليه، فجاءت الرسل مذكرة بالعهد والميثاق.

قال رحمه الله:

٤٧٠٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى، أَخْبَرَنَا بَقِيَّةُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ جُعْثُمٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَحَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ.

٤٧٠٥ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مَصْقَلَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا» (١).

أي أن الله طبعه كافرا، لكن هل في هذا دليل على أنه قتل دون البلوغ؟ الذي يظهر أن قتله كان بعد البلوغ، إلا أنه لم يصل إلى إرهاق والديه، والدليل على ذلك قول موسى عليه السلام: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [سورة الكهف: ٧٤]، معناه لو كان قد قتل؛ لتعين عليه القتل، وإذا كان دون البلوغ لا يُقتل ولو قَتل، وهذا هو اختيار الطحاوي وغيره.

قال رحمه الله:

٤٧٠٦ - حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، نَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [سورة الكهف: ٨٠]: «وَكَانَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا» (٢).

جاء في بعض القراءات: (وأما الغلام فكان كافرا).

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٦١)، وأحمد حديث رقم: (٢١١١٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣٨٠)، والترمذي حديث رقم: (٣١٥٠)، وأحمد حديث رقم: (٢٠٦١٥).

٤٧٠٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَتَنَاوَلَ رَأْسَهُ فَقَلَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً} الْآيَةَ» (١).

وفي قراءة: زاكية.

٤٧٠٨ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، (ح)، وأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ الْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْإِخْبَارُ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: أَخْبَرَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا [ثم يبعث إليه ملك] فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» (٢).

(الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ) الصادق في قوله والمصدوق من ربه.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (١٢٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٨٠).

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٥٩٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٣)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٧٣)، وابن ماجه حديث رقم: (٧٦)، وأحمد حديث رقم: (٣٦٢٤).

(إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) نطفه، لم تذكر في الحديث لكن هذا هو المعنى.

(ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ) أربعون يوما أخرى.

(ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) فالتتمة مائة وعشرين يوم، ينفخ فيه الروح.

وهذا الحديث أصل في إثبات القدر، أنكره القدرية، ونازعوا فيه، حتى روي عن عمرو بن عبيد أنه قال: لو حدثني زيد بن وهب ما صدقته، ولو حدثني عبد الله بن مسعود ما قبلته، ولو حدثني رسول الله ﷺ لرددته، ولو حدثني الله ﷻ لقلت: ما على هذا أخذت العهد والميثاق؟ قال ابن كثير أو غيره: لعنه الله إن كان قال ذلك.

فالشاهد أن على الإنسان أن يعمل بما أوجب الله عليه، وأن يجتنب ما نهى الله عنه، ولا يتعارض هذا مع إثبات القدر.

قال رحمه الله:

٤٧٠٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ الرِّشْكِ نَا مُطَرِّفٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١).

٤٧١٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٥٩٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٩)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٨٣٤).

الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ، وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»(١).

استدل به المصنف على أنهم لا يجالسون، والأدلة كثيرة، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨].

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ

أي أطفال المشركين، اختلف العلماء فيهم، فذهب ابن كثير رحمه الله كما في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥] إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات، فمن أطاع دخل الجنة وانكشف على الله فيهم بسابق السعادة ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بالسابق الشقاوة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم مع آبائهم مطلقا، أي في النار، وذهب بعض أهل العلم إلا أنهم في الجنة، مستدلين بحديث سمرة بن جندب في البخاري قال: «**ورأيت رجلا وحوله أطفال الناس**» أو أولاد الناس، قال رجل: وأولاد المشركين؟ قال: «**وأولاد المشركين**»، فهذا هو المذهب الصحيح.

(١) حكيم بن شريك مجهول، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٦).

وأما الأحاديث: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» فلا دلالة فيها لما ذهب إليه من أنهم مع آبائهم، وأما حديث: «**هم منهم**»، هذا في البيات في الحكم الدنيوي، وأما الحكم الأخروي فقد تقدم، ورؤيا الأنبياء وحي.

قال رحمه الله:

٤٧١١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» (١).

(مسدد) هو ابن مسرهد، **(أبو عوانة)** وضاح، **(أبي بشر)** جعفر.

قال الخطابي: ظاهر هذا الكلام يوهم أنه ﷺ لم يفت السائل عنهم، وأنه رد الأمر في ذلك إلى علم الله من غير أن يكون قد جعلهم من المسلمين أو ألحقهم بالكافرين، وليس هذا وجه الحديث، وإنما معناه أنهم كفار ملحقون بآبائهم؛ لأن الله سبحانه قد علم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لكانوا يعملون عمل الكفار، يدل على صحة هذا التأويل حديث عائشة المذكور بعده.

هذا قول الخطابي مرجوح بما تقدم، فكم من إنسان أبوه كافر وهو مسلم.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (١٣٨٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٦٠)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٨٩)، وأحمد حديث رقم: (١٨٤٨).

٤٧١٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، أَخْبَرَنَا بَقِيَّةُ، (ح)، وَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ قَالَا: نَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَعْنَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: «هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ. قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: «مِنْ آبَائِهِمْ»، قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ. قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

لعل هذا الحكم الدنيوي، أما الحكم الأخروي فهم في الجنة، ولعل هذا قبل أن يوحى إليه ﷺ.

(ترقيم الأحاديث ليس من المطبوع)

٤٧١٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُصَلِّي عَلَيْهِ، قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا لَمْ يَعْمَلْ شَرًّا وَلَمْ يَدْرِ بِهِ [يدريه]، فَقَالَ: «أَوَغَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا وَخَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»[1].

قال النووي رحمه الله: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفا، وتوقف فيه بعض من لا يعتد

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٦٢)، وهو عند النسائي حديث رقم: (٢٠٨٥)، وابن ماجه حديث رقم: (٨٢).

به لحديث عائشة هذا، وأجاب العلماء بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، انتهى.

قال رحمه الله:

٤٧١٤ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تَنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» (١).

(يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ) ولم يقل: يمسلمانه؛ لأنه مسلم.

(كَمَا تَنَاتَجُ) يعني تلد، **(مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ)** سليمة الأعضاء، **(جَدْعَاءَ)** مقطوعة الأذن.

٤٧١٥ - قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قُرِئَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينٍ وَأَنَا شَاهِدٌ أَخْبَرَكَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ مَالِكٌ: احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِآخِرِهِ. قَالُوا: أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (١٣٥٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٥٨)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٧٤)، وأحمد حديث رقم: (٧١٨١)، ومالك حديث رقم: (٥٦٩).

قال ابن القيم رحمه الله: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك؛ لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية؛ لأن قوله: فأبواه يهودانه إلخ، محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، كذا في (فتح الباري).

يعني احتج عليهم بعلم الله، والقدرية ينفون علم الله.

قال رحمه الله:

٤٧١٦ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ يُفَسِّرُ حَدِيثَ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، قَالَ: هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللهُ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ [عليهم العهد] فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

(الحسن بن علي) هو الحلواني.

قد تقدم أن العهد أخرجهم الله ﷻ كهيئة الزرع.

٤٧١٧ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ».

قَالَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا: قَالَ أَبِي: فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ عَامِرًا حَدَّثَهُ بِذَلِكَ عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

(الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ) قال الشارح: وأد بنته يئدها وأدا فهي موءودة، إذا دفنها في القبر وهي حية. وهذا كان من عادة العرب في الجاهلية خوفا من الفقر أو فرارا من العار.

قال القاضي: كانت العرب في جاهليتهم يدفنون البنات حية، فالوائدة في النار؛ لكفرها وفعلها، والموءودة فيها؛ لكفرها، وفي الحديث دليل على تعذيب أطفال المشركين، وقد تؤول الوائدة بالقابلة لرضاها به، والموءودة بالموءودة لها وهي أم الطفل فحذفت الصلة.

أو أنها الوائدة هنا حادثة عين في امرأة كانت قد بلغت، يعني يكون الحديث أنها حادثة عين في امرأة قد بلغت دفنتها أمها، فهنا الوائدة والوءودة في النار كلاهما كافر أما أنه يحمل على الطفل الصغير الذي لا تميز له ولا تكليف عليه فهذا يخالف ما تقدم.

قال رحمه الله:

٤٧١٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّى قَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» (٢).

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٠٣)، وهو عند أحمد حديث رقم: (١٢١٩٢).

اختلفوا في معنى هذا الحديث من حيث هل يختبر عبد الله بن عبد المطلب يوم القيامة فيكون مصيره مع الكافرين أم أنه مات والحجة قائمة عليه؟ هذا يظهر؛ لأنهم تركوا دين إبراهيم، واستبدلوا بدين المشركين، مع علمهم ببقايا دين إبراهيم، وكان زيد بن عمرو بن نفيل موحدا بين أظهرهم.

وفيه أن أبوي النبي ﷺ في النار، خلاف لما ذهب إليه الصوفية ومن تأثر بمقولتهم، ولست أرحم من النبي ﷺ، وقبل ذلك أرحم من الله ﷻ، فلو كانت ثمت رحمة لعبدالله لرحم، لكن هو من الكافرين كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٠].

وأسوأ الأقوال في هذا الحديث قول من يقول: بأن النبي ﷺ إنما مازح الرجل وأراد أن يدخل عليه السرور ونحو ذلك، قول النبي ﷺ حق على أي حال، قوله حق في الغضب والرضى، وفي الجد والمزح.

قال السندي: من يقول بنجاة والديه ﷺ يحمله على العم[1]، فإن اسم الأب يطلق على العم مع أن أبا طالب قد ربى رسول الله ﷺ فيستحق إطلاق اسم الأب من تلك الجهة، انتهى. وهذا أيضا كلام ضعيف باطل.

قال: والشيخ جلال الدين السيوطي قد خالف الحفاظ والعلماء المحققين وأثبت لهما الإيمان والنجاة، فصنف الرسائل العديدة في ذلك، منها رسالة التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة.

---

(١) وهذا غير صحيح.

وهذا لا عبرة بكلامه؛ لأنه وافق فيه أهل التصوف الذين خالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في الصحيح قال النبي ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**»، لو كانت مسلمة لأذن له، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

قال رحمه الله:

٤٧١٩ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» (١).

قال القاضي وغيره: قيل: هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه، وقيل: هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه، كذا في (شرح مسلم) للنووي.

لكن المعنى الأول هو الموافق لظاهر الحديث، وبه يستدل على ثبوت المس ونحو ذلك مما ينكره العقلانيون.

قال رحمه الله:

٤٧٢٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٠٣٨)، ومسلم حديث رقم: (٢١٧٤)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (١١٧٢)، وابن ماجه حديث رقم: (١٧٧٩)، وأحمد حديث رقم: (١٢١٨٢).

الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ». الْحَدِيثَ

تقدم هذا الأثر، وفيه النهي عن مجالسة أهل البدع؛ لشؤم طريقهم.

انتهينا من هذا المجلد في الثاني من صفر لعام أربع وأربعين وأربعمائة وألف، وشرع في المجلد الذي يليه، وهو الأخير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ والمعتزلة

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، أخذوا عقيدتهم من جهم، وجهم أخذها من الجعد بن درهم، أما الجعد بن درهم فقد قتله خالد القسري، وأما الجهم بن صفوان فقد قتله سلم بن أحوز، وذكروا أن الجهم بن صفوان ترك الصلاة أربعين يوما، وسبب ضلاله أنه وجد قوما من السُّمْنِيَّة، طائفة من زنادقة الهنود، لا يؤمنون إلا بالمحسوس، فلما ذكر لهم ربه، قالوا له: شممته؟ طعمته؟ رأيته؟ سمعته؟ مسسته؟ قال: لا، فعند ذلك شك في ربه وتحير.

ثم اختلا بنفسه، فخرج بمقولة باطلة ينقض بعضها بعضا، حيث زعم بأن الله لا موجود ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا فوق، ولا تحت، ولا محايث ولا مباين، وهذا هو العدم، فعطل الله عَزَّ وَجَلَّ من أسمائه، حيث زعم أنها أسماء لمخلوقاته وعطل الله عَزَّ وَجَلَّ من صفاته، ومن مذهبه القول بخلق القرآن، والقول بفناء الجنة والنار،

والقول بالجبر في باب القدر، وغير ذلك من الأقوال البائرة، وقد كفرهم السلف، وشنعوا عليهم.

وأما المعتزلة: فرقة من المبتدعة، قد سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويريدون بالعدل نفي القدر، وبالتوحيد نفي الصفات، ومن أصولهم: إنفاذ الوعيد ومعناه تخليد أصحاب الكبائر في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويريدون به الخروج على الحكام، والمنزلة بين منزلتين معناه: أن فاعل كبيرة في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة يخلد في النار، وافقوا الخوارج في الحكم الأخروي وخالفوهم في الدنيوي، بحيث جوزوا له بهذا الحال الذي هو عليه منزلة بينه منزلتين أنه يجوز له أن يتزوج ويزوج ويعامل ما يتعلق بالناس.

فالمعتزلة في باب الصفات جهمية، وفي باب القدر قدرية نفاة، وفي باب الإيمان إلى الخوارج أقرب، ويقولون بعدم الزيادة والنقصان، وينسبون إلى واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد بن باب، سموا بالمعتزلة؛ لاعتزاله لمجلس الحسن البصري.

قال رحمه الله:

٤٧٢١ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ».

معناه الإعراض عن الخواطر؛ لأنها تجر إلى الضلال، وإلى الزندقة والإلحاد فالإنسان لا يستجريه الشيطان بالوسوسة في القدر، أو الوسوسة في الذات، بل يعاجل

بالاستغفار والتوبة والإنابة، في رواية: «**فليقل آمنت بالله**»، وفي رواية: «**فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم**».

قال رحمه الله:

٤٧٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا سَلَمَةُ يَعْنِي ابْنَ الْفَضْلِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الجن: ٢٢-٤]، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ [وَلْيَسْتَعِذْ] مِنَ الشَّيْطَانِ».

﴿**اللهُ الصَّمَدُ**﴾؛ لأن الصمد هو الذي لم يلد ولم يولد على تفسير لأهل العلم.

في سنده سلمة بن الفضل، قاضي الري، لا يحتج به، لكن يكفي الأثر الأول.

قال رحمه الله:

٤٧٢٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ. قَالَ: «وَالْمُزْنَ؟» قَالُوا: وَالْمُزْنَ[1]، قَالَ: «وَالْعَنَانَ؟» قَالُوا: وَالْعَنَانَ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ

(١) يعني له عدة أسماء.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ، أَوْ ثِنْتَانِ، أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ [سبعين] سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ»، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، «ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ [ما بين] أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ».

(الْبَطْحَاءِ): المحصب، موضع معروف في مكة، فوق مقبرة المعلَى، لكن هذا الموضع الآن صار مدينة، صار فيه الشَّشَّة، ومستشفى الملك فيصل، والمعابدة، ودار الإمارة، ومسجد الجميزة، وغير ذلك من الأمور.

هذا الحديث يسمى بحديث الأوعال، ويستدل به على علو الله ﷻ على عرشه، ويستدل به على إثبات الملائكة الكرُّوبِيِّين، وهم حملة عرش، ومع ذلك الحديث ضعيف، فيه سنده الوليد بن أبي ثور، ويغني عنه أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإن ظاهره الثبوت، ومثله لا يقال من قبيل الرأي، إلا أنه ذكر فيه: أن بين السماء الدنيا والأرض مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، حتى ذكر السابعة، وفوقها بحر بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام، ثم فوق ذلك العرش، ثم الله ﷻ فوق العرش.

قال الشارح: وهذا الحديث يدل على أن الله تعالى فوق العرش، وهذا هو الحق وعليه يدل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين، قالوا: إن الله تعالى استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول.

والجهمية قد أنكروا العرش وأن يكون الله فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان، ولهم مقالات قبيحة باطلة، وإن شئت الوقوف على دلائل مذهب السلف والاطلاع على رد مقالات الجهمية الباطلة، فعليك أن تطالع كتاب (الأسماء والصفات) للبيهقي[1]، وكتاب (أفعال العباد) للبخاري، وكتاب (العلو) للذهبي، و(القصيدة النونية) لابن القيم، و(الجيوش الإسلامية) لابن القيم رحمهم الله تعالى.

قال رحمه الله:

٤٧٢٤ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا: أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ[2].

٤٧٢٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ، وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ.

٤٧٢٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ قَالُوا: أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ أَحْمَدُ: كَتَبْنَاهُ مِنْ نُسْخَتِهِ، وَهَذَا لَفْظُهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ [ونهبت] الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ،

(١) مع الحذر من تأويله.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٢٠).

وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟ » وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا - وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»، قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى وَابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ وَجُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَالْحَدِيثُ بِإِسْنَادِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ، وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا، وَكَانَ سَمَاعُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَابْنِ الْمُثَنَّى وَابْنِ بَشَّارٍ مِنْ نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي.

(جبير بن محمد بن جبير بن مطعم) ضعيف، ومحمد بن إسحاق عنعن.

(جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ) جهدت أي: لحقها الجهد والمشقة.

(وَضَاعَتِ الْعِيَالُ) أي بقلة الطعام، ربما ماتوا وهلكوا.

(وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ) بأكلها وبكثرة الصرف منها.

أما أن الله فوق عرشه فهذا ثابت من هذا الوجه أو من غيره، وأما الحديث فهو ضعيف لا يثبت.

وأصحاب الهيئة الجديدة والذين يمثَّلون في وكالة ناسا الأمريكية ما عندهم سماوات، ما عندهم سماوات أبدا، وهذه الأيام أخرجوا فيديو على أنهم وجدوا ثقب أسود، وخرج من ذلك الثقب صوت، يعني جعلوا الدنيا والأرض في هذا العالم كنقطة، مع أن الله ﷻ ما تحدث عن هذا العالم الذي يذكرونه، وإنما أخبر عن الأرض: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الحج: ٦٥]، إذا كانت نقطة أين تقع هذه السماء؟ فالأرض ممدودة واسعة، ولا يمنع أن يكون على هيئة البيضة كما قال شيخ الإسلام وغيره: متكورة، لكنها ممدودة واسعة، فما قد وصل هذا الإنسان إلا إلى شيء من أطرافها.

ولذلك إلى الآن هم عاجزون عن معرفة مكان يأجوج ومأجوج، وتحركهم طائراتهم إلى هذه الأماكن، من اليابان إلى أمريكا، ثم لو أتت هكذا على جهة أوروبا ترجع إلى اليابان، تصوروا أنهم أحاطوا بالأرض، وأن هذه هي الكرة الأرضية، عندهم الأرض كرة يمشون عليها هكذا، هذه طائرة تمشي في السماء، تبدأ من زاوية وترجع من زاوية وهي في السماء، ما دليلهم على أنها تدور حول أرض كروية بهذه الرسمة التي يرسمونها؟

الصحيح أن هذا الكلام لا يصدقون فيه مطلقا؛ لأنهم أصلا لا يؤمنون لا بسماء دنيا ولا ثانية ولا ثالثة ولا رابعة ولا خامسة ولا سادسة ولا سابعة، ولا يؤمنون بعرش، ولا يؤمنون بكرسي، ولا يؤمنون برب على العرش، فكيف نصدقهم الآن حين يأتون بهذه الأشياء التي كثير من الكفار يشككون فيها؟ ليس من الآن، من الستينات وقد ألف بعض الكفار كتابا على كذب وكالة ناسا الأمريكية، وأن هذا الذي

يسمونه رائد الفضاء الذي صعد على القمر ما معهم إلا تلك الصورة، ما تشاهدون غيرها، مُثِّل في بعض الصحاري، واستدلوا على ذلك:

العلم الأمريكي رفرفر، القمر ما فيه ريح حتى يرفرف عليها.

ثانيا: استدلوا على ذلك بالظل.

ثالثا: استدلوا على ذلك بما يسمى بالجاذبية الأرضية، حين وقع رائد الفضاء على الأرض دل على أن وقعته غير الجاذبية التي على القمر.

فالشاهد استدلوا باستدلالات كثيرة، ووكالة ناسا الأمريكية هي مستغلة للعالم تأخذ في كل عام ملايين الدولارات، بدعوى أنها تستعد لمواجهة كوكب سينقض على الأرض، تارة بعد خمسين سنة، رأوا أن الأمر ما ينفق قالوا: بعد مائة وعشرين سنة، وربما يقولوا: بعد مائتين سنة، المهم حتى ينتهي الجيل الأول، والجيل الثاني ويأكلون ويجمعون، لا يهمنا هذا، الذي يهمنا أن الله ﷻ على العرش، والعرش على السماوات، أما هذه الهيئة الجديدة ما عندهم لا سموات ولا عرش، فلا يصدقون في هذا الأمر.

المهم الحديث يثبت فيه العلو، ونترك ما يتعلق بما لم يثبت في الحديث، وتكلم الشارع هنا بتوسع على مسألة إثبات العلو، وما قيل في هذا الحديث.

قال هنا الشارح: وقد روي هذا المعنى عن النبي -ﷺ- من غير حديث ابن إسحاق، فقال محمد بن عبد الله الكوفي المعروف بمطين حدثنا عبد الله بن الحكم وعثمان قالا: حدثنا يحيى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال: أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم أمر الرب ثم

قال: «**إن كرسيه فوق السماوات والأرض وإنه يقعد عليه**[1] **فما يفصل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصابعه فجمعها، وإن له أطيطا كأطيط الرحل**» الحديث.

الله أعظم وأعظم من العرش، هذا حديث منكر، الله ﷻ نؤمن أنه على العرش ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، فمن زعم أن العرش يقله أو يظله فهذا فهم سقيم، فهم سيء.

قال: فإن قيل: عبد الله بن الحكم وعثمان لا يعرفان، قيل: بل هما ثقتان مشهوران عثمان بن أبي شيبة وعبد الله بن الحكم القطواني، وهما من رجال الصحيح.

وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق عرشه إن رحمتي غلبت غضبي**».

وفي لفظ البخاري: «**وهو وضع عنده على العرش**».

وفي لفظ له أيضا: «**فهو مكتوب فوق العرش**»، ووضع بمعنى موضوع مصدر بمعنى المفعول كنظائره. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.

وقد أطال الكلام في ترجمة محمد بن إسحاق الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال)، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس اليعمري في (عيون الأثر في المغازي والسير)، فعليك بمراجعتهما.

---

(١) هذا من طريق عبد الله بن خليفة، وعبد الله بن خليفة ضعيف.

يعني هل يضعف هذا الحديث بسبب ابن إسحاق أم لم يضعف؟

قال رحمه الله:

٤٧٢٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنَا أَبِي، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ».

فيه الإيمان بالملائكة، وفيه عظم خلقهم، وفيه أن العرش محمول، كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: ١٧]، إلا أن الناس اختلفوا فقال بعضهم: يحمله الآن أربعة، ويحمله يوم القيامة ثمانية، والله اعلم.

قال رحمه الله:

٤٧٢٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ النَّسَائِيُّ الْمَعْنَى قَالَا: أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، أَخْبَرَنَا حَرْمَلَةُ يَعْنِي ابْنَ عِمْرَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [سورة النساء: ٥٨] قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ [عينيه]، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ [إصبعه].

قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلهِ سَمْعًا وَبَصَرًا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ.

(يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ) يعني هكذا أشار، وليس فيه التمثيل، إنما فيه أن النبي ﷺ حقق ثبوت الصفة، أن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر، وقد تكلمت على مسألة الإشارة في كتابي (مسألة تحديث العوام بأحاديث الأسماء والصفات)، وجمعت كثيرا من الأحاديث التي فيها الإشارة مع نقل فتاوى أهل العلم في هذه المسألة، على أن الإنسان إذا كان بين قوم يكيفون أو خشي عليهم التمثيل لا يشير، وإذا كان بين طلاب علم لا يخشى عليهم التمثيل فلا بأس أن يشير من باب تحقيق الصفة، كما أن النبي ﷺ حين ذكر قبض الله ﷻ للسماوات والأرض قال: «**ثم يهزهن**»، وجعل يشير بيده.

(وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ) الذين ينفون السمع والبصر، وينفون غير ذلك من الصفات، فالله ﷻ موصوف بصفات جليلة عظيمة، كما أنه مسمى بأسماء حسنى مذكورة في الكتاب والسنة، ومنها ما اختص به في علم الغيب عنده ﷻ.

قال الترمذي في (الجامع) عقب حديث أبي هريرة في النزول: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات.

وقال في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال كيف كذا، جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف[1]،

(١) هذا دليل على أنهم يثبتونها، وإلا ما احتاجوا إلى نفي الكيفية.

وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا: هذا تشبيه. وقال إسحاق بن راهويه إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع.

وقال في تفسير المائدة: قال الأئمة: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك [1].

وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج، فقالوا: من أقر بها فهو مشبه.

وقال إمام الحرمين[2]: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاد عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى[3]، والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون

---

(١) يعني من غير تفسير الجهمية؛ لأن تفسيرها معلوم.

(٢) مع أنه أشعري، لكن قيل بأنه تاب في آخره، والله أعلم.

(٣) معانيها معلومة، هذا القول باطل، القول بتفويض المعاني إلى الله ﷻ باطل، وليس بقول السلف، فمانيها، معلومة، معلوم عند العرب، ماذا يعني قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: ٥]، و﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [سورة الفتح: ٦]، و﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [سورة المائدة: ٨٠]، وهكذا ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]، إلى غير ذلك، فكل اسم يتضمن صفة فالحذر من تصديق من يزعم أن التفويض مذهب السلف، بل هو مذهب الخلف ومن أشر المذاهب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع. انتهى.

انتهينا من الرد على الجهمية، وعلمنا أن الله مسمى بأسماء وموصوف بصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، وأن طريق الجهمية نفي الأسماء والصفات وطريق المعتزلة نفي الصفات، وطريق الأشاعرة إثبات الأسماء وسبع صفات، ونفي بقية الصفات، والصفات التي يثبتونها:

حـــي مريـــد قـــادر عـــلَّامُ لـــه الســـمع والبصـــر والكـــلامُ

يثبتونها بالعقل، ما يثبتونها على طريقة أهل السنة والجماعة بالدليل، وإلا لا فرق بين إثبات صفة الكلام وإثبات صفة النزول، كلها جاءت بالدليل، إن لم يأتي الدليل على إثبات النزول زعموا نقول: إن لم يأتي الدليل العقلي فالدليل النقلي أقوى من الدليل العقلي.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ

أي رؤية الله ﷻ في الدار الآخرة.

قال ابن بطال: ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة.

والرؤية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، هذا دليل على الرؤية في أرض المحشر، وقال

الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥]، قال الشافعي: فلما حُجب هؤلاء في السخط دل على أن المؤمنين يرونه في الرضى.

ومن الأدلة من السنة: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**».

وأما الرؤية في الجنة فقد قال الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]، وقال الله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٥]، والزيادة فسرها النبي ﷺ أنها النظر إلى وجه الله ﷻ.

وقد ذهب الناس في الرؤية مذاهب، فذهبت الجهمية ومن إليهم أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وذهب غلاة الصوفية ومن إليهم أنه يرى في الدنيا والآخرة وذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يرى في الدنيا ويرى في الآخرة، قال النبي ﷺ: «**اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**».

واستدل المعتزلة على نفي الرؤية بقول الله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، وبقول الله ﷻ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].

وأما الجواب على الآية الأولى: فالله ﷻ أثبت الرؤيا ونفي الإدراك، فهم يرونه ولا يحيطون به؛ لأن الإدراك رؤية وزيادة، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٦١-٦٢].

وأما قول الله ﷻ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي في الدنيا، والدليل أنه لم يقل: لا أُرى، وأن الله ﷻ لم يعاتب موسى على سؤال الرؤية، مع أنه عاتب نوحا حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [سورة هود: ٤٥]، فلو كان موسى قد أخطأ لعاتبه الله.

وأما قولهم: بأن (لن) تفيد التأبيد فهذا مذهب رديء، وقول باطل رده أصحاب اللغة.

ومن يرى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

قال رحمه الله:

٤٧٢٩ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ وَوَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جُلُوسًا فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ [سورة طه: ١٣٠] (١).

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا) أي أن الله يرى في العلو، كما أن القمر يرى في العلو، وأما الأشاعرة فذهبوا إلى أن الله يرى لا في جهة؛ لأنهم لا يثبتون العلو،

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٤٨٥١)، ومسلم حديث رقم: (٦٣٣)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥٥١)، وابن ماجه حديث رقم: (١٧٧)، وأحمد حديث رقم: (١٨٧٠٨).

وهذا تناقض، فما من مرئي إلا ويرى في جهة، إما جهة العلو والله ﷻ يرى فيها، وإما جهة السفل والله منزه على السفل.

(لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) أي لا تزدحمون، وقيل: لا يلحقكم ضيم، وقيل غير ذلك.

(صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) يعني الفجر والعصر.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣٠]، فهذه الآية ضمت أوقات الصلاة.

قال رحمه الله:

٤٧٣٠ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ نَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَى رَبَّنَا ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا» (١).

وأيضا جاء من حديث أبي سعيد، وبطوله يظهر أن الذي يرى الله ﷻ في الموقف جميع من في الموقف، من المؤمنين والكفار، ومن الأبرار والفجار، ثم يحتجب عن الكفار، وهذا هو القول الراجح، وأدلة اللقي تدل على ذلك، «**ما منكم**

(١) متفق عليه مطولا: البخاري حديث رقم: (٨٠٦)، ومسلم حديث رقم: (١٨٢)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٧٣١)، وابن ماجه حديث رقم: (١٧٨)، وأحمد حديث رقم: (٧٧١٧)، والدارمي حديث رقم: (٢٨٠١).

من أحد إلا سيكلمه ربه»، «يلقى العبد ربه»، «واعلموا أنكم ملاقوه»، وقد استوعبت الكلام على مسألة الروية وما يتعلق بها في كتابي (الجامع الصحيح في الرؤية)، ولله الحمد والمنة.

قال رحمه الله:

٤٧٣١ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، (ح)، وأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، أَخْبَرَنَا أَبِي، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ الْمَعْنَى عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعٍ قَالَ مُوسَى ابْنُ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ مُوسَى الْعُقَيْلِيُّ: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ؟ قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: مُخْلِيًا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ، أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ - قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: - لَيْلَةَ الْبَدْرِ مُخْلِيًا بِهِ؟ » - ثُمَّ اتَّفَقَا - قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ»، قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: قَالَ: «فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، فَاللهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ» (١).

(موسى من إسماعيل) هو أبو سلمة التبوذكي، (وكيع بن عدس) مجهول وشيخ الإسلام يحسن حديثه، لكن هذا هو الصحيح، (أبي رزين) هو لقيط بن عامر، ويقال: لقيط بن صبرة.

(مُخْلِيًا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي خاليا بربه بحيث لا يزحمه شيء في الرؤية.

(فَاللهُ أَعْظَمُ) أعظم وأكبر.

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٨٠)، وأحمد حديث رقم: (١٦١٨٦).

الشاهد أنه ذكر ثلاثة أحاديث يستدل بها على الرؤية، والأحاديث أكثر من ذلك وقد ألف الدارقطني رحمه الله (كتاب الرؤية)، وأبو شامة له مؤلف في الرؤية، والآجري له كذلك مؤلف، النظر إلى وجه الله ضمن الشريعة.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ

أي الذين ينكرون الصفات. قال رحمه الله:

٤٧٣٢ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ أَخْبَرَهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ سَالِمٌ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ [يطوي الله الأرضين] ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ، قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: بِيَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ » (١).

(عمر بن حمزة) ضعيف.

(ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى) فيه إثبات صفة اليدين لله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٧٤١٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٨٨)، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٩٨).

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [سورة الزمر: ٦٧]، وقال الله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الملك: ١].

والأحاديث مستفيضة بذكر اليدين، قال النبي ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة، أخذها الله بكفه ثم تنمو في كف الرحمن كما ينمو فل أحدكم أو نصيفه**»، قال النبي ﷺ: «**ساعد الله أشد**»، وقال النبي ﷺ: «**إن الله يضع السماوات على إصبع، والأراضي على أصبع، والماء والثرى على أصبع، والجبال على أصبع، وبقية الخلائق على إصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك**»، كل هذا التصريف لصفة اليد دليل على ثبوتها، «**وكلتا يدي ربي يمين**»، كما في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم، وما جاء أنه يأخذ الأرض بشماله كما في رواية عمر بن حمزة عند مسلم فهي رواية شاذة، خالف فيها من هو أثبت منه، ممن يروي عن نافع عن عبد الله بن عمر.

(**بِيَدِهِ الْأُخْرَى**) هذا هو الصواب الموافق لما في الصحيحين، وأما (يأخذهن بشماله) فتقدم بيان ضعفها.

قال رحمه الله:

٤٧٣٣ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ

لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (١).

(يَنْزِلُ رَبُّنَا) ينزل نزولا يليق بجلاله، ينزل ﷻ نزولا حقيقيا، فهو الذي يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأغفر له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**»، ومن ذهب أنه نزول الأمر فأوامر الله نازلة في الليل والنهار، ومن زعم نزول الملك فالملك لا يقول: من يدعوني من يسألني من يستغفرني.

ومن زعم نزول الرحمة فإن كانت الصفة فالصفة لا تنفك عن الموصوف، وإن كانت الرحمة المخلوقة فلا يجوز لها أن تقول ما تقدم، ثم ما الفائدة أن تنزل هذه الأمور إلى السماء الدنيا؟ إنما ينزل حقيقةً الله ﷻ، وأحاديث النزول متواترة، حتى ذكر ابن القيم أنها رويت عن ثمانية وعشرين صحابيا.

والله سبحانه تعالى فعال لما يريد، ولا يفهم من نزوله إلى السماء الدنيا أن السماء تضله أو تقله، فهو ﷻ أجل وأكبر وأعظم، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، وعرشه أكبر من كرسي، بل جاء في الأثر: «**أن الكرسي في العرش كحلقة في فلاة**»، لكن نمرر الأدلة كما جاءت عن السلف رضي الله عنهم.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (١١٤٥)، ومسلم حديث رقم: (٧٥٨)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٩٨)، وابن ماجه حديث رقم: (١٣٦٦)، وأحمد حديث رقم: (٧٥٣٨)، ومالك في (الموطأ) حديث رقم: (٤٩٦)، والدارمي حديث رقم: (١٤٧٩).

بَابٌ فِي الْقُرْآنِ

أي عقيدة أهل السنة في القرآن، واعتقاد أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، يتكلم ﷻ بما شاء، كيف شاء، متى شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وصفة الكلام صفة ذات، فإن الله ﷻ متكلم في الأزل والأبد، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٩]، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، وقال الله ﷻ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣] إلى غير ذلك.

والنبي ﷺ يقول: «**من يؤويني حتى أن أبلغ كلام ربي؟**» وسيأتي أثر عائشة: ما كنت أظن أن يتكلم الله في بوحي، والأدلة على إثبات صفة الكلام متواترة، وقد ألف فيها العلماء قديما وحديثا.

وخالف في هذه الصفة الجهمية والمعتزلة ومن إليهم، فزعموا أن القرآن كلام الله مخلوق، مع أن القرآن صفة الله ﷻ ليس بمخلوق، وأما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣] أي: صيرناه قرآنا عربيا، وقد فرق الله ﷻ بين الخلق والأمر بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]، فالخلق يكون بكلامه، والأمر هو كلامه، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

ومما يدل على أن كلام الله غير مخلوق أن النبي ﷺ قال: (**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»، وهذا دليل على أنها صفة لله ﷻ ولو كانت مخلوقة ما جاز الاستعاذة بها.

وأما قولهم: يلزم من كلام الله ﷻ أن يكون له لسان وأن يكون له شفتان وجوف فهذا من تخرصهم وباطلهم، فقد كان الحجر يسبح بين يدي النبي ﷺ، ويسلم على النبي ﷺ، وليس له ذلك، ثم هذا من الكلام الذي لا يصح القول به؛ لأننا نتكلم في باب الصفات بما ورد من النصوص، من غير زيادة أو نقصان.

وقد نقل الإجماع على أن القرآن كلام الله، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، قال:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

وانظر إلى (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي تجد أنه ينقل القول بإثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق عن جماهير بل عن أئمة السلف والخلف، في الحجاز والعراق والشام، ومكة والمدينة، واليمن، ومصر، وغير ذلك من البلدان.

قال رحمه الله:

٤٧٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَنْبَأَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ

بالْمَوْقِفِ [في الموقف] فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي» (١).

(بالْمَوْقِفِ) أي موقف الحج وموقف الأسواق.

فيه إثبات صفقة الكلام، فهو معنى يقوم بغيره، فإضافته إلى الله إضافة إلى موصوف.

قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الفتح: ١٥]، قال الله ﷻ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦].

قال رحمه الله:

٤٧٣٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ، أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا [أَنْبَأَنَا] ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ يَعْنِي الشَّعْبِيَّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَقَرَأَ ابْنٌ لَهُ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى؟

(مجالد) فيه ضعف.

٤٧٣٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣١٥٢)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٠١)، وأحمد حديث رقم: (١٥١٩٢)، والدارمي حديث رقم: (٣٣٥٤).

وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ، قَالَتْ: وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى (١).

(وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ) لم يقبل العلماء هذا إلا من مثل الزهري، وإلا فإنهم يطلبون من المحدث أن يميز.

والشاهد منه أن الله تكلم في شأن عائشة، وبرأها مما اتهمت به.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧٣٧ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»، ثُمَّ يَقُولُ: «كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا [بها] إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» (٢).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

وهذا دليل على أن كلمات الله ﷻ غير مخلوقه.

(كَانَ أَبُوكُمْ) أي أبوهم إبراهيم.

لو كان مخلوقا ما جاز التعويذ به.

---

(١) متفق عليه مطولا: البخاري حديث رقم: (٤٧٥٠)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٧٠)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٢٥٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٧١)، وهو عند الترمذي حديث رقم: (٢١٨٨)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٥٢٥)، وأحمد حديث رقم: (٢١١٢).

قال رحمه الله: **قال الخطابي في (المعالم)**: وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله: «**بكلمات الله التامة**» على أن القرآن غير مخلوق، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص، فالموصوف منه بالتمام هو غير مخلوق، وهو كلام الله سبحانه. انتهى.

قال الحافظ في (الفتح): قال ابن بطال: استدل البخاري بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]، على أن قول الله قديم لذاته قائم بصفاته لم يزل موجودا به، ولا يزال كلامه لا يشبه المخلوقين، خلافا للمعتزلة التي نفت كلام الله تعالى.

قوله: (قديم لذاته قائم بصفاته) إن أراد به أن الله يتكلم متى شاء كيف شاء فنعم، وإن أراد به أن الله تكلم في الأزل كما تقول السالمية ومن إليهم ثم أنه لا يتكلم متى شاء فلا يستقيم له هذا القول.

قال رحمه الله:

٤٧٣٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الرَّازِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالُوا: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، أَنْبَأَنَا [أَخْبَرَنَا] الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَى بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ، فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ الْحَقَّ» (١).

(١) أخرجه البخاري معلقا، جاء بنحوه عند مسلم.

(فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أي رفع الفزع عن قلوبهم وكشف.

(فَيَقُولُ: الْحَقَّ) أي قال الحق.

الشاهد من هذا أن الله ﷻ يثبت له صفة الكلام على ما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأما إذا أضافوه إلى محمد ﷺ نقول لهم: قد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [سورة الحاقة: ٤٠]، في سورة الحاقة، وقال في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ [سورة التكوير: ١٩]، ففي سورة الحاقة المراد بالرسول الكريم محمد ﷺ، وفي سورة التكوير المراد بالرسول الكريم جبريل، فكلام من منهما؟ فإن قالوا: كلام محمد خصموا بالآية الثانية، وإن قالوا: كلام جبريل خصموا بالآية الثانية، لكن نقول: كلام الله، وأضيف إلى محمد من حيث البلاغ، وأضيف إلى جبريل من حيث أنه هو الذي أوصله لمحمد ﷺ.

والذين ذهبوا إلى القول بأن كلام الله مخلوق أرادوا أن يصلوا إلى أن الأسماء والصفات مخلوقة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

قال رحمه الله:

بَابُ ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالصُّورِ

البعث بعد الموت، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]، والنفخ في الصور في حالين:

الأول: نفخة الصعق، قال الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر: ٦٨].

الثانية: نفخة البعث والإعادة، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٨].

والصور هو قرن عظيم، الله أعلم بهيئته وكيفيته، ينفخ فيه إسرافيل، والإجماع قائم على أن النافخ في هذا الصور هو إسرافيل، إذ أن الملائكة العظام: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

قال رحمه الله:

٤٧٤٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، نَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: أَخْبَرَنَا أَسْلَمُ، عَنْ بِشْرِ بْنِ شَغَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو [ابن عمرو - أو عمر]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» (١).

٤٧٤٣ - حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» (٢).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥٩٩)، وأحمد حديث رقم: (٦٥٠٧)، والدارمي حديث رقم: (٢٧٩٨).

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٤٨١٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٥٥)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٧٦)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٢٦٦)، وأحمد حديث رقم: (٨١٨٠)، والدارمي حديث رقم: (٥٦٥).

أي يركب يوم القيامة، فإن الله ﷻ ينزل مطرا أمثال المَنِي، فينبتون كما ينبت البقل، «**وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الشَّفَاعَةِ

الشفاعة شفاعات: الأولى: الشفاعة العظمى، وهي المشار إليها في قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [سورة الإسراء: ٧٩]، وهذه يثبتها الجميع، أهل السنة والمعتزلة والخوارج ومن إليهم، ثم الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد، وهذه ينكرها الخوارج المعتزلة، ويثبتها أهل السنة؛ لما يأتي من حديث أنس قال النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

وفي حديث أبي موسى قال النبي ﷺ: «**خيرت بأن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفأ، أترونها للمتقين؟ كلا، ولكنها للمذنبين المخطئين المتلوثين**»، وفي حديث أنس الصحيحين: قال النبي ﷺ: «**فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقول: أخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال حبة شعير من إيمان**»، ثم يعود الثانية: «**أخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»، ثم يقول له: «**أخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، ثم يقول: «**يا رب ائذن لي في من قال: لا إله إلا الله، قال:**

هذا ليس إليك، لكن بعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله».

ثم هناك الشفاعة في فتح باب الجنة، وهذه مختصة بالنبي ﷺ قال: «**آتي باب الجنة فأستفتح، فيقال: من؟ فأقول: محمد، يقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

ومنها: الشفاعة في دخول قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما شفع لعكاشة ابن محصن رضي الله عنه، والحديث في الصحيحين.

ومنها: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة، وهذا النوع أيضا يثبته الخوارج والمعتزلة، مثل دعاء النبي ﷺ لعامر الأشعري: «**اللهم اجعله وارفعه فوق كثير من عبادك يوم القيامة**».

ومنها: الشفاعة لعمه أبي طالب، ولكنها شفاعة مقيدة في تخفيف العذاب، لا في إخراجه من النار، وإلا فإن الله ﷻ يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٨].

وقد جاءت الشفاعة في القرآن مثبتة ومنفية، فالمثبت: ما طلب من الأصنام أو طلب للكفار، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٨]، وأما المثبتة: فهي الشفاعة بإذن الله لمن رضي الله فعله ممن رضي الله فعله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، وقال الله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

المنفية الشفاعة التي في الكفار أو التي تطلب من الأصنام، والمثبتة التي يأذن الله ﷻ بها، وتكون عن رضا الله عن الشافع والمشفوع.

وقد ألف شيخنا مقبل رحمه الله تعالى كتابا حافلا في الشفاعة، وهكذا الذهبي له كتاب في الشفاعة، وقد فسر جابر بن عبد الله المقام المحمود بالشفاعة العظمى.

وأما من فسر المقام المحمود بأنه إجلاس النبي ﷺ على العرش فهذا لا دليل عليه.

قال رحمه الله:

٤٧٣٩ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، أَخْبَرَنَا بِسْطَامُ بْنُ حُرَيْثٍ، عَنْ أَشْعَثَ الْحُدَّانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» (١).

وقد قلبه المبتدعة فقالوا: شفاعتي ليست لأهل الكبائر من أمتي، وبهذا اللفظ ليس في الكتب المعتمدة، وإنما هو من قلب أهل الباطل؛ لترويج مذهبهم الباطل.

قال رحمه الله:

٤٧٤٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ» (٢).

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٠٤)، وأحمد حديث رقم: (١٣٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٦٦)، والترمذي حديث رقم: (٢٧٨٣)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٧٨٣)، وأحمد حديث رقم: (١٩٨٩٧).

قال رحمه الله:

٤٧٤١ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ [النبي] ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ» (١).

وفيه الشاهد يشربون، وفيه الشاهد أن النبي ﷺ يشفع فيمن يشفع فيه.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، والأدلة على ذلك متواترة، منها قول الله ﷻ في حق الجنة: {أعدة للمؤمنين}، وفي حق النار: {أعدت للكافرين}، والنبي ﷺ كما في أحاديث الكسوف وغيرها يقول: «**رأيت الجنة والنار**»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر الجنة**»، وسيأتي الحديث وبابها واسع.

وخالف في ذلك المعتزلة والجهمية فزعموا أن وجود الجنة والنار الآن عبث، وذهبت الجهمية أيضا إلى فناء النار، بل وفناء الجنة.

قال رحمه الله:

---

(١) أخرجه مسلم مطولا حديث رقم: (٢٨٣٥)، وأحمد مطولا حديث رقم: (١٣٩٩٢)، والدارمي مطولا حديث رقم: (٢٨٢٧).

٤٧٤٤ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ، قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

(موسى بن إسماعيل) هو أبو سلمة التبوذكي.

وقد قال النبي ﷺ: «**رأيت قصرا في الجنة قال: لمن هذا القصر؟ قال: لرجل من العرب، قال: أنا من العرب، قال: لرجل من قريش، قال: أنا من قريش، قال: لعمر بن الخطاب**»، وسمع خشخشة بلال في الجنة، وكذلك رأى إبراهيم عليه السلام وحوله أبناء المسلمين في الجنة.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الْحَوْضِ

ومن عقيدة أهل السنة الإيمان بالحوض، وهو موجود الآن، وهو حوض يكون للنبي ﷺ يوم القيامة، ترد عليه أمته ومن شاء الله من المؤمنين، وأما حديث «**لكل**

نبي حوض» فهو حديث لا يثبت، وهو من مراسيل الحسن البصري ومراسيله ضعاف.

ولذلك العلماء يقولون في حق النبي ﷺ: صاحب الحوض والشفاعة، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر: ١-٣]، وسيأتي أنه فسر الكوثر بالحوض، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن أحاديث الحوض متواترة، رواها عن النبي ﷺ أكثر من ثمانين صحابيا.

قال رحمه الله:

٤٧٤٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَمُسَدَّدٌ قَالَا: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» (١).

قرية بجنب أذرح، وغلط من قال: بينهما ثلاثة أيام، وإنما الوهم من رواة الحديث.

سيأتي أنه كما قال: بين مكة وصنعاء، ومكة وأيلة، إلى غير ذلك.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٦٥٧٧)، ومسلم حديث رقم: (٢٢٩٩)، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٤٧٢٣).

٤٧٤٦ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، قَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ»، قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُمِائَةٍ أَوْ ثَمَانِمِائَةٍ (١).

٤٧٤٧ - حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: أَغْفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر: ١] حَتَّى خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ» (٢).

(إِغْفَاءَةً) نومة يسيرة بين أظهرهم.

الشاهد أن هناك كوثر وحوض، الكوثر يكون في الجنة يمد منه الحوض والحوض يكون في أرض المحشر، يخرج الناس عطاشا من قبورهم، فيتوجهون إلى الحوض، فيشرب منه المؤمنون ويرد المنافقون والكافرون، ومن شاء الله ﷻ من عصاة المسلمين؛ لحديث كعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**»، قال: يا

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٢٩١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٠٠)، والترمذي حديث رقم: (٢٥٤٢)، والنسائي حديث رقم: (٩٠٣)، وأحمد حديث رقم: (١١٥٨٥).

رسول الله وما إمارة السفاء؟ قال: «قوم يكونون بعدي، يستنون بغير سنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض».

قال رحمه الله:

٤٧٤٨ - حَدَّثَنَا عَاصِمُ النَّضْرِ، أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا عَرَجَ نَبِيُّ اللهِ [بنبي الله] ﷺ فِي الْجَنَّةِ أَوْ كَمَا قَالَ، عُرِضَ لَهُ نَهَرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ أَوْ قَالَ الْمُجَوَّفُ، فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ ﷻ (١).

٤٧٤٩ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ بِاسْمِهِ سَمَّاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ، فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللهِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ [محدثكم] هَذَا الدَّحْدَاحُ، فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ: إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا، قَالَ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ، لَا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٦٤).

مَرَّةً وَلَا ثِنْتَيْنِ وَلَا ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا (١).

(عبيد الله بن زياد) من ولاة بني أمية الظلمة الغَشَمة.

(السِّمَاطِ) الجماعة من الناس.

(مُحَمَّدِيَّكُمْ) أي منسوب إلى محمدكم، إلى محمد ﷺ يقصد الصحابة.

(الدَّحْدَاحُ) القصير السمين.

(فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ) وهذا دليل على جرأتهم على الصحابة رضي الله عنهم، كالحجاج بن يوسف، وعبيد الله بن زياد، والمختار بن أبي عبيد، وجمع.

الحديث في إسناده رجل مجهول.

وقد اختلف في هذا الحديث هل هو ثلاثي؟ فبعضهم يرى أنه ثلاثي، ثلاثيات أبي داوود، وبعضهم يرى أن هناك واسطة مبهمة.

والشاهد أن الحوض ثابت، وقد أنكره بعض من كان في زمن التابعين، وقال لهم أنس: لقد تركت عجائز أهل المدينة وإحداهن تقول: اللهم اسقني من حوض محمد ﷺ.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٧٧٩).

بَابُ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ

وهذا رد على المعتزلة ومن إليهم من الرافضة والخوارج الذين ينكرون ما يتعلق بالحياة البرزخية من فتنة القبر وضمته ونعيمه أو عذابه، مع توارد الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية على إثباته، قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [سورة غافر: ٤٦]، وقال الله ﷻ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [سورة نوح: ٢٥]، أي في حالهم، أُدخلوا نارا، وقال الله ﷻ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [سورة التكاثر: ١-٢]، وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [سورة الواقعة: ٨٨-٩٦].

وإثبات عذاب القبر إجماع عند أهل السنة، وأحاديثه متواترة.

قال رحمه الله:

٤٧٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي

الْقَبْرِ، فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] »[1].

٤٧٥١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَنْبَارِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ الْخَفَّافُ أَبُو نَصْرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ، فَقَالَ: «مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ؟ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ [القَبْر]، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، قَالُوا: وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ تَعَالَى هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ. فَيُقَالُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا [غيرهما]، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا [فما]

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٤٦٩٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٨٧١)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٨٥)، والنسائي حديث رقم: (٢١٩٥)، وابن ماجه بنحوه حديث رقم: (٤٢٦٨)، وقد أخرجه أحمد مطولا حديث رقم: (١٨٤٨٢)، ذكر فيه قصة القبر من عند الاحتضار إلى أن يكون شأن رب أقم الساعة في حق المؤمن، ويقول الكافر: رب لا تقم الساعة، وسيأتي بعضه عند أبي داوود.

كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» (١).

(فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ) يعني صوت عذاب.

(فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ) يعني ما هو وقت بشارة ولا وقت رجوع.

(فَيَنْتَهِرُهُ) يعني يقيمه بشدة، حتى يقوم مشدوه لا يدري ما يقول.

الجن والإنس لو سمعوا من عذاب القبر ما سمع النبي ﷺ ما تدافنوا.

قال رحمه الله:

٤٧٥٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، نَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بِمِثْلِ هَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ»، فَذَكَرَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ الْأَوَّلِ، قَالَ فِيهِ: «وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولَانِ لَهُ زَادَ الْمُنَافِقَ، وَقَالَ: «يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» (٢).

٤٧٥٣ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، (ح)، وأَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَهَذَا لَفْظُ هَنَّادٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٣٤٤٧).

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (١٣٧٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٨٧٠)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٥٠)، وأحمد حديث رقم: (١١٨٦٢).

مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا، وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧] الْآيَةَ، ثُمَّ اتَّفَقَا، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ [وافتحوا له بابا إلى الجنة وألبسوه من الجنة]، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ، فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ[1]، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا»، قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

(١) وذكر ضربة وغير ذلك، إلا أنه هنا اختصره.

زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» (١).

(زاذان) حسن الحديث على الصحيح.

(وَلَمَّا يُلْحَدْ) يعني ما زالوا يحفرون.

(وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) ولهذا قال النبي ﷺ: «**سلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**».

(فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ) في الصحيح: «**واتبعت**»، فيه فضل الاتباع للنبي ﷺ.

(من رَوْحِهَا وَطِيبِهَا) أي من ريحها الطيب.

(ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ) يعني من يعذبه أعمى أبكم، يعذبه ولا يسمع صياحه وهذا أدعى للنكاية به، نسأل الله أن يجنبنا النار وما فيها من العذاب، نسأل الله أن ينجينا من عذاب القبر.

قال رحمه الله:

٤٧٥٤ - حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، أَخْبَرَنَا الْمِنْهَالُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

(١) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٠)، وابن ماجه حديث رقم: (١٥٤٩)، وأحمد حديث رقم: (١٨٥٣٤).

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ

نؤمن بالميزان، وأنه حق، وأن له كفتان ولسان، توضع فيه الأعمال يوم القيامة ينكره المعتزل ومن إليهم، قالوا: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والثوَّام، إلى غير ذلك من أقوالهم الباطلة، وضعه الله ﷻ لإظهار عدله، وإظهار فضله، ويوزن ثلاثة أشياء: العامل، والعمل، والصحيفة، هذا على القول الصحيح، وذهب بعضهم إلى أنه يوزن العمل والصحيفة.

قال رحمه الله:

٤٧٥٥ - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَحُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟ » قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [سورة الحاقة: ١٩]، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ [ظهراني] جَهَنَّمَ»، قَالَ يَعْقُوبُ، عَنْ يُونُسَ، وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ.

ما يدل على وزن العمل: قول النبي ﷺ من حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

مما يدل على وزن العامل: حديث عبد الله بن مسعود عند أحمد: ضحكوا من دقة ساقيه، قال: «**لهما في الميزان أثقل من أحد**».

مما يدل على وزن الصحف: حديث ابن عمر عند الترمذي: «**يُخلَّص رجل من أمتي على رؤوس الخلائق، فيأتي بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر، ثم توضع فيها لا إله إلا الله فتطيش بتلك السجلات، ولا يثقل مع اسم الله شيء**»، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧]، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ٨-٩]، جمع الموازين مع أنه ميزان واحد؛ لكثرة ما يوزن فيها.

ويوزن الكافر ولا قيمة لوزنه؛ لإظهار عدل الله ﷻ، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٥]، وفي الحديث: «**يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة**».

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الدَّجَّالِ

٤٧٥٦ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُرَاقَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»، فَوَصَفَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ قَدْ رَآنِي وَسَمِعَ كَلَامِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ قُلُوبُنَا يَوْمَئِذٍ، أَمِثْلُهَا الْيَوْمَ؟ قَالَ: «أَوْ خَيْرٌ [وَخَيْرٌ - أو أَخْيَر]» (١).

هذا الحديث ضعيف، فيه عبد الله بن سراقة ثو يوثقه غير ابن عجلان، وخالد مدلس.

وأحاديث الدجال متواترة، تغني عن هذا الحديث، منها ما في الصحيحين وغيرهما، وقد ألفت فيه مصنفا مستقلا بعنوان: (تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال)، ومن أصرح الأدلة ما يقوله المصلي في دبر الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»، وقد وصف رسول الله ﷺ فتنته في حديث النواس بن سمعان عند مسلم.

وهو موجود الآن على الصحيح كما في حديث الجساسة، وينكره بعض أهل العلم، لكن الصحيح أنه موجود.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٨٤).

٤٧٥٧ - حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ فَذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

لا يدخل مكة ولا المدينة، ويسلم منه من ثبته الله من المسلمين، وينبغي للمسلم إذا سمع به أن يفر منه، لا يجوز أن يغشاه، «**إن أحدكم ليأتيه ويحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ لما يلقي من الشبهات**».

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي الْخَوَارِجِ (باب في قتال الخوارج)

هم فرقة من أهل الباطل، خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولهم عقائد فاسدة من بغض العثمان وعلي وعائشة، من وقع بينهم الحرب من الصحابة، ويكفرون من ارتكب الكبيرة، قاتلهم علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهم الآن طوائف، يكفرون بمطلق الكبيرة.

قال رحمه الله:

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٠٥٧)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٣١)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٨٥)، وأحمد حديث رقم: (٤٧٤٣).

٤٧٥٨ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، نَا زُهَيْرٌ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ وَمِنْدَلٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وُهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قيد شِبْرٍ [شبرا] فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ».

الربقة: ما يجعل في عنق الدابة.

قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يكفرهم، قال النبي ﷺ: «**لإن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، وما حذر النبي ﷺ من طائفة من الطوائف كتحذيره منهم، «**يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان**».

قال رحمه الله:

٤٧٥٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، أَخْبَرَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي الْجَهْمِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ وُهْبَانَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟ » قُلْتُ: أَمَا [إذن -إذَا] وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ أَوْ أَلْحَقَكَ قَالَ: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي» (١).

بمعنى أن الإنسان لا يدخل في الفتنة، لا سيما الفتن التي تكون على الحكم؛ لما تجر إليه من سفك الدماء ونحو ذلك.

٤٧٦٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ وَهِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ

(١) خالد مجهول، وأخرجه أحمد حديث رقم: (٢١٥٥٨).

زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ أَنْكَرَ - قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ هِشَامٌ: - بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ [أَنْكَرَ] بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ [وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ]، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»، قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ (١).

(تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ) تعرفون ما وافق الحق، وتنكرون ما خالفه.

(فَمَنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ) هذا إذا لم يكن في إنكاره مفسدة، «**كلمة حق عند سلطان جائر**».

قال في مسلم: «**السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان**»، وأيضا لا تكون المعركة بين المسلمين، وأيضا لا تكون الفتنة في صالح الكافرين، إلى غير ذلك، فمثل هذه الأمور التي خالف الخوارج فيها وذهبوا للثورات والانقلابات على الحكام جروا على المسلمين الشر الكثير، نسأل الله السلام والعافية.

ومن آخر ما وقع في هذه الأمة ما يسمى بثورة الربيع العربي، وترون أنها أدت إلى تسلط الروافض، وإلى تسلط أهل الضلالة على المسلمين، فهدمت البيوت، ورملت النساء، ويتم الأبناء، وقطعت السبل، وغلت الأسعار، وغير ذلك مما لن يرفع إلا بتوبة صادقة لله ﷻ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٤)، والترمذي حديث رقم: (٢٤١٨)، وأحمد حديث رقم: (٢٤١٨).

قال رحمه الله:

٤٧٦١ - حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: نَا الْحَسَنُ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْعَنَزِيِّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ قَالَ: «فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ»، قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ (١).

٤٧٦٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ [ما كان]» (٢).

(هَنَاتٌ) شرور وفساد، (وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ) شرور كثيرة.

هذا هو الحكم فيه، لكن المشكلة الآن تسلطت أمريكا ومن إليها من دول الغرب على حكام المسلمين، فأصبح الثائر الخارج يقوم ويحدث الفساد العريض ولا يجد من يستطيع أن يتعرض له، بل إذا سجنوه هددوا أولياء الأمور بالضرب بالأسلحة الفتاكة، أو بالمقاطعات، أو غير ذلك، كما هو معلوم، فصارت الماسونية العالمية وما تسمى بالدولة العميقة تتحكم في كثير من حكام المسلمين، وإلا مثل هؤلاء ليس لهم دواء أنجع من السيف، هكذا يقول النبي ﷺ: «**لإن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وإرم**»، يعني أفنيهم، ما يصلح معهم إلا الفناء، والله المستعان.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٤)، وأحمد حديث رقم: (٢٦٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٢)، والنسائي حديث رقم: (٣٤٦٩)، وأحمد حديث رقم: (١٨٢٩٥).

قتلوا عثمان بن عفان وهو يقرأ قرآن، وزوجه بجانبه، لم يرعوا حرمة صحابي، ولا حرمة مبشر بالجنة، ولا حرمة شيخ كبير، ولا حرمة امرأة، ولا حرمة القرآن، إلى غير ذلك.

قال رحمه الله:

بَابٌ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ

٤٧٦٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْمَعْنَى قَالَا: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبِيدَةَ: أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ أَهْلَ النَّهَرَوَانِ فَقَالَ: فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ الْيَدِ أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَنَبَّأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ [آنت - أأنت] سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ؟ قَالَ: قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ (١).

أهل النهروان يصوبهم الإباضية، هذا الخليلي مفتي عمان يصوب عبد الله بن وهب الراسبي ومن إليه الذين قاتلوا علي بن أبي طالب، ويرى أنهم كانوا على حق في قتالهم له.

(مَثْدُونُ الْيَدِ) مثل الثدي، علامة عليه.

قال النبي ﷺ: «**خير الشهداء من قتلوهم**».

قال رحمه الله:

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٦٦)، وابن ماجه حديث رقم: (١٦٧)، وأحمد حديث رقم: (٦٢٦).

٤٧٦٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا [أَنْبَأَنَا] سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ [الخير] الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ، وَقَالَتْ: يُعْطِي [تعطي] صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا [وتدعنا]، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ»، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَأْتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، قَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟ » قَالَ: فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسَبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ: فَمَنَعَهُ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا وَاللهِ أَدْرَكْتُهُمْ لَاقْتُلَنَّهُمْ [قتلتهم] قَتْلَ عَادٍ» (١).

(بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا) أي من اليمن، ذهب لم يُخرج من التربة.

(إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ) يعني على الإسلام؛ لأجل أن تثبت قلوبهم.

(مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ) يعني عالي الخدين.

(قَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ) ذو الخويصرة منافق.

---

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٧٤٣٢)، ومسلم حديث رقم: (١٠٦٤)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٢٣٧٠)، وابن ماجه حديث رقم: (١٦٩)، وأحمد حديث رقم: (١١٠٠٨).

(مَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ) أي النبي ﷺ.

(إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ) أي من أبنائه وممن هو على طريقه.

(يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ) يقرؤونه أكثر من قراءة الصحابة ربما.

(لَئِنْ أَنَا وَاللهِ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ) أي لا يبقي منهم أحد.

قال رحمه الله:

٤٧٦٥ - حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ وَمُبَشِّرٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيَّ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو قَالَ: يَعْنِي الْوَلِيدَ، ثَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ [قتلهم] كَانَ أَوْلَى بِاللهِ تَعَالَى مِنْهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ» (١).

لم يسمع قتادة من أبي سعيد، سمع من أنس في الجملة.

(تَرَاقِيَهُمْ) التراقي: الحلوق.

(لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ) يعني هل يرتد السهم إلى الخلف؟ لا يكون، ما يرتد إلى الوتر، فكذلك هم يمرقون ما يرجعون.

(١) أخرجه البخاري بنحوه حديث رقم: (٧٥٦٢)، وأحمد حديث رقم: (١٣٣٣٨).

قال محمد بن سيرين: آخر الحديث أشد عليهم من أوله، أي أهل البدع، قل أن يتوب مبتدع، ومن مرض في هذا الباب باب البدعة والميول والركون إلى أهلها لا ترجو خيره، حتى وإن أظهر يوما من الأيام أنه صار حسن الحال، لا حسن الحال ولا حسن الفعال ولا حسن المقال، إلا أن يشاء الله، لمن جاهد نفسه مجاهد عظيمة حتى يذهب ما علق في نفسه وقلبه من الخبث على أهل السنة، وعلى أهل الطريقة المرضية، والطريقة السوية، فهذا هو حال الخوارج.

قتلوا عثمان ثم جاءوا في جيش علي بن أبي طالب، ما هي إلا أيام وخرجوا على علي بن أبي طالب يقاتلونه، وتجرأوا إلى أبعد الحدود، قتلوا عبد الله بن خباب، ثم قال لهم علي: ائتوني بقاتله، قالوا: كلنا قتلناه، وأحدهم ربما فيه مثل مبرك العنز من طول السجود، لكن ما يغني عنهم هذا السجود وهم على غير السنة، على غير الطريقة، «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

(يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ) ناظرهم ابن عباس وبين عواراهم إن الحكم إلا لله وهم ما هم حول حكم الله.

(التَّحْلِيقُ) الآن ربما يأتون بغير هذه السيماء، إنما أولئك كان سيماهم التحليق، أما الآن بعضهم ربما يربي شعره إلى منكبه، ما معه من السنة إلا الشعر، وأما غير ذلك فلا.

قال رحمه الله:

٤٧٦٦ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، نَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَحْوَهُ قَالَ: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ [وَالتَّسْمِيدُ] وَالتَّسْبِيدُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ» (١).

قال أبو داود: التَسبيدُ: استئصال الشَّعر.

٤٧٦٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا [أَنْبَأَنَا] سُفْيَانُ، أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ [مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ]، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

عندهم طيش، حتى وإن كبر سنه تجده طائشا ولا قيمة له، كأنه طفل، والله أن من انتحل هذا المذهب ولو كان محدودب الظهر كأنه طفل في طيشانه، في معاملته، في سوء خلقه مع المسلمين.

(لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ) يعني: نحن كذا نحن كذا وهم غير العمل.

قال رحمه الله:

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٧٥)، وأحمد حديث رقم: (١٣٠٣٦).

(٢) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٣٦١١)، ومسلم حديث رقم: (١٠٦٦)، وأخرجه النسائي حديث رقم: (٨٥١٠)، وأحمد حديث رقم: (٦١٦).

٤٧٦٨ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ شَيْئًا، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَلَى الْعَمَلِ [ليكلوا عن العمل]، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، أَفَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ إِلَى [في] ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟ وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا مَنْزِلًا حَتَّى مَرَرْنَا [مر بنا] عَلَى قَنْطَرَةٍ، قَالَ: فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ [1] فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، قَالَ: فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ وَاسْتَلُّوا السُّيُوفَ وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ. فَلَمْ يَجِدُوا قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ

(١) في يوم النهروان.

عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ. فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آللهِ [وَاللهِ] الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْلِفُ [1].

قال أبو داود: قال مالك: ذل للعلم أن يجيب العالم كل من سأله.

(أَفَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ إِلَى ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟) يعني معاوية رضي الله عنه لو قدر أن انتصر ما سيقتل النساء والأطفال، أما هؤلاء سيسبون النساء وسيقتلون الأطفال، ولذلك قال علي بن أبي طالب: أتذهبون إلى معاوية في الشام وتتركون هؤلاء؟ أبدأوا بهؤلاء قبل معاوية.

(وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ) يقتلونهم، الناس قاموا عليهم غضبا لله وغضب للسنة.

(وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ) أي الناس قتلوا الخوارج.

انظروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما لم يجد هذا المخدج خشي أن لا يكون موجودا فيلتبس أمر على الناس، وإلا هو قد علمهم بصفاتهم، لكن لما وجد هذه العلامة كبر وفرح رضي الله عنه.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٦٦).

٤٧٦٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ مُرَّةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَضِيءِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: اطْلُبُوا الْمُخْدَجَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ الْقَتْلَى فِي طِينٍ، قَالَ أَبُو الْوَضِيءِ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَبَشِيٌّ عَلَيْهِ قُرَيْطِقٌ، لَهُ إِحْدَى يَدَيْنِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، عَلَيْهَا شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ شُعَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى ذَنَبِ الْيَرْبُوعِ» (١).

(قُرَيْطِقٌ) قرطة، تصغير قرط.

اليربوع: حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين جدا، وله ذنب كذنب الجرذ.

٤٧٧٠ - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخْدَجُ لَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ فِي الْمَسْجِدِ يُجَالِسُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ فَقِيرًا وَرَأَيْتُهُ مَعَ الْمَسَاكِينِ يَشْهَدُ طَعَامَ عَلِيٍّ عليه السلام مَعَ النَّاسِ، وَقَدْ كَسَوْتُهُ بُرْنُسًا لِي، قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: وَكَانَ الْمُخْدَجُ يُسَمَّى نَافِعًا ذَا الثُّدَيَّةِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ عَلَى رَأْسِهِ حَلَمَةٌ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شُعَيْرَاتٌ مِثْلُ سِبَالَةِ السِّنَّوْرِ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هُوَ عِنْدَ النَّاسِ اسْمُهُ حَرْقُوسُ.

(بُرْنُسًا) نوع من الثياب، (السِّنَّوَرِ) يعني الثعلب.

ابن مريم مجهول.

قال رحمه الله:

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١١٧٩).

بَابٌ فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ

أي جواز قتل اللصوص الذين يقطعون السبيل، ويقطعون الطريق، يجب على ولي الأمر أن يقاتلهم، وبالنسبة للرجل الذي يجدونه إن استطاع أن يفتدي نفسه سلامة النفس لا تعدلها شيء، وإن أراد أن يقاتل على ماله له ذلك، «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»، لكن يا أخي إذا كثرت الفتن بدل أن تقتل وكما يقال: لا في العير ولا في النفير ولا قيمة لك عندهم يأخذوا المال، وسيخلف الله ﷻ بالمال، هذا الذي أراه أقرب، والله أعلم.

قال رحمه الله:

٤٧٧١ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ» (١).

انظر (وقاتل) يعني أراد أن يقاتل، وإذا أراد أن لا يقاتل لا يقاتل.

٤٧٧٢ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ يَعْنِي أَبَا أَيُّوبَ الْهَاشِمِيَّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(١) متفق عليه: البخاري حديث رقم: (٢٤٨٠)، ومسلم حديث رقم: (١٤١)، وأخرجه الترمذي حديث رقم: (١٤٧٩)، والنسائي حديث رقم: (٣٥٣٧)، وأحمد حديث رقم: (٦٥٢٢).

«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (١).

يعني ليست الشهادة محصورة في القتل في المعركة، بل كل من قاتل لإعلاء كلمة الله، قاتل للدفاع عن نفسه، عن ماله، عن أهله فو شهيد.

آخِرُ كِتَابِ السُّنَّةِ

يعني كثير من الأبواب لم يذكرها، لكنه أشار إلى مهمات الأبواب التي يعتقدها أهل السنة ويتميزون فيها عن أهل البدعة.

حدثنا أبو داوود، حدثنا عبد الله بن قريش البخاري، قال سمعت نعيم بن حماد يقول: المعتزلة تردون ألفي حديث من حديث النبي ﷺ، أو نحو ألفي حديث.

بدعوى أنها آحاد يردونها ولا يستدلون بها، ولا يثبتون الحوض، ولا الميزان، ولا الصراط، ولا أخذ الكتاب، ولا يثبتون الصفات، ولا غير ذلك.

حَدَّثَنَا أَبُو ظَفَرٍ عَبْدُ السَّلَامِ، حدثنا جَعْفَرٌ، عَنْ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ مَثَلَ عُثْمَانَ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَقْرَؤُهَا وَيُفَسِّرُهَا ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة آل عمران: ٥٥] يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ وَإِلَى أَهْلِ الشَّامِ.

قد تقدم الإنكار على الحجاج، وعلى نقل الإمام عن الحجاج.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٤٨١)، والنسائي حديث رقم: (٣٥٤٤)، وأحمد حديث رقم: (١٦٢٨)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ قَالَا: حدثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ [قال: قال رسول الله ﷺ اشفعوا تُحَبُّوا]: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، فَإِنِّي لَأُرِيدُ الْأَمْرَ فَأُؤَخِّرُهُ، كَيْمَا تَشْفَعُوا فَتُؤْجَرُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا».

(اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا) هو الثابت في الصحيح.

يعني اشفع، إن قبلت شفاعتك الحمد لله، وإن قبلت أنت مأجور.

أَخْبَرَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حدثنا سُفْيَانُ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: قَالَ عَفَّانُ: كَانَ يَحْيَى لَا يُحَدِّثُ عَنْ هَمَّامٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: قَالَ عَفَّانُ: فَلَمَّا قَدِمَ مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ وَافَقَ هَمَّامًا فِي أَحَادِيثَ، كَانَ يَحْيَى رُبَّمَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ قَالَ هَمَّامٌ فِي هَذَا؟

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ: سَمَاعُ هَؤُلَاءِ عَفَّانَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ هَمَّامٍ أَصْلَحُ مِنْ سَمَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كُتُبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

هذه من الفوائد الحديثية التي ألقاها في آخر الكتاب، وليست من كتاب السنة بمعنى أنها من أصوله.

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، نَا عَفَّانُ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - قَالَ: قَالَ لِي هَمَّامٌ: كُنْتُ أُخْطِئُ وَلَا أَرْجِعُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ [فأستغفر الله] تَعَالَى.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: أَعْلَمُهُمْ بِإِعَادَةِ مَا يَسْمَعُ مِمَّا لَمْ يَسْمَعْ شُعْبَةُ، وَأَرْوَاهُمْ هِشَامٌ، وَأَحْفَظُهُمْ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَحْمَدَ؛ فَقَالَ: سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ فِي قِصَّةِ هِشَامٍ هَذَا كُلُّهُ يَحْكُونَهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ، أَيْنَ كَانَ يَقَعُ هِشَامٌ مِنْ سَعِيدٍ لَوْ بَرَزَ لَهُ.

يعني أن سعيد من أبي عروبة، أثبت من هشام، هذه فوائد حديثية كما قلت لكم.

وفي هذا اليوم الموافق للرابع من صفر لعام أربع وأربعين وأربعمائة وألف انتهينا من كتاب السنة من سنن أبي داود، والحمد لله رب العالمين.

الفِهرس

المقدمة .... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

كِتَابِ السُّنَّةِ ٥

باب شرح السنة ٧

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ وَاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ ١٢

بَابُ مُجَانَبَةِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَبُغْضِهِمْ ١٦

بَابُ تَرْكِ السَّلامِ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ١٩

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ ٢١

بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ ٢٣

بَابُ مَنْ دَعَا إِلَى السُّنَّةِ (باب لزوم السنة) ٣٦

بَابٌ فِي التَّفْضِيلِ ٥٣

باب ما قيل في الخلفاء (بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ) ٥٦

بَابٌ فِي فَضْلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ٧٤

بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ٧٧

بَابٌ فِي اسْتِخْلافِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ٨٠

بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلامِ فِي الْفِتْنَةِ ٨١

بَابٌ فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام ٨٥
بَابٌ فِي رَدِّ الإِرْجَاءِ (باب الرد على المرجئة) ٩٣
بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ ١٠٠
بَابٌ فِي الْقَدَرِ ١١٠
بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ ١٣٣
بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ والمعتزلة ١٤١
بَابٌ فِي الرُّؤْيَةِ ١٥٣
بَابٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ١٥٨
بَابٌ فِي الْقُرْآنِ ١٦١
بَابُ ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالصُّورِ ١٦٦
بَابٌ فِي الشَّفَاعَةِ ١٦٨
بَابٌ فِي خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ١٧١
بَابٌ فِي الْحَوْضِ ١٧٢
بَابُ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ١٧٧
بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمِيزَانِ ١٨٢
بَابٌ فِي الدَّجَّالِ ١٨٤

بَابٌ فِي الْخَوَارِجِ (باب في قتال الخوارج) ١٨٥

بَابٌ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ..... ١٨٩

بَابٌ فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ..... ١٩٧

آخِرُ كِتَابِ السُّنَّةِ..... ١٩٨